مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٧٥٥-٨٣٠، (ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ/ نوفمبر ٢٠٢٠)

المبهمات الزمانية في القرآن الكريم عند السيوطي، دراسة بلاغية. (من سورة الفاتحة إلى سورة الحج)

د. عطاالله بن جضعان بن سمير العنزي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد - كلية العلوم والآداب برفحاء - جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث: علم المبهمات من العلوم التي اهتم بها العلماء قديماً، وألفوا فيه مصنفات خاصة، وذكروا فيها الآيات القرآنية التي فيها إبهام، ومن هؤلاء العلماء الإمام السيوطي، الذي تكلم عن علم المبهمات في كتبه: الإتقان في علوم القرآن، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن، وقد فاق كتاب "مفحمات الأقران" الكتب الأخرى التي تحدثت عن المبهمات القرآنية، وانفرد السيوطي فيه بذكر بعض شواهد المبهمات، التي لم يتطرق لها أحد – فيما قرأت ووقفت عليه - ممن سبقه في التأليف في علم المبهمات.

لكن هذه الشواهد القرآنية في علم المبهمات تحتاج إلى دراسة وإيضاح، خاصة فيما يتعلق بالبلاغة والبيان، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث.

وهذا البحث يحاول أن يسلط الضوء على نوع من أنواع المبهمات القرآنية عند السيوطي، ألا وهو: المبهمات الزمانية، فيذكر شواهدها، ويدرسها دراسة بلاغية، ويبين أسباب الإبهام فيها، ويكشف عن السر البلاغي فيها، وهل هي من انفرادات السيوطي؟ أم من نقولاته؟ متخذاً المنهج التحليلي منهجاً له في الدراسة والتحليل.

وأهم الأسرار البلاغية للمبهمات الزمانية التي خرج بها البحث هي: البيان، والتأكيد، والتقرير والتوضيح، والتعظيم، والترهيب والتهويل، والتهديد والوعيد، والامتنان، والتقليل.

الكلمات المفتاحية: القرآن – الإعجاز – البلاغة – المبهمات – السيوطي.

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمما لا شك فيه أن أعظم ما يشتغل فيه العبد هو النظر في كتاب الله العظيم، ومدارسة علومه، والبحث في أسراره، ومحاولة الكشف عن إعجازه، وبلاغته، وإنّ من علوم القرآن الكريم المهمة علم المبهمات، فلقد اهتم به العلماء اهتماماً كبيراً، وألفوا فيه مصنفات عديدة، فكشفوا عن حِكَمه، وبينوا أسبابه، وذكروا معانيه، وقد تنوعت المبهمات القرآنية ما بين مبهمات في الأعلام والأسماء، والأماكن، والأزمنة، والأعداد.

ومن العلماء الذين اهتموا بهذا العلم: السهيلي (٥٨١هـ) في كتابه: التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن، وابن عسكر (٦٣٦هـ) في كتابه: التكميل والإتمام، وابن جماعة (٧٣٣هـ) في كتابه: غرر التبيان، والبلنسي (٧٨٢هـ) في كتابه: تفسير مبهمات القرآن، والزركشي (٧٩٤هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، والسيوطي (٩١١هـ) الذي يعد من أكثر من تكلم في هذا العلم، فدرس المبهمات القرآنية ضمن كتابيه: الإتقان، ومعترك الأقران، وخصها بكتابه: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن.

لكن هذه الشواهد القرآنية في علم المبهمات تحتاج إلى دراسة وإيضاح، خاصة فيما يتعلق بالبلاغة والبيان، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث.

ولقد اخترت في هذا البحث نوعاً من المبهمات القرآنية هي: المبهمات الزمانية عند السيوطي، لما فيها من حِكَم وأسرار وفوائد، حاولت الكشف عنها، وبيانها.

مشكلة البحث: يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية: ما أبرز الظواهر البلاغية في شواهد المبهمات الزمانية؟ وما سرها البلاغي؟

وحدود هذا البحث محصورة في الشواهد التي ذكرها السيوطي في كتابه: "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الحج، وعرض هذه الشواهد، وبيان معناها، ومناقشتها، وبيان الأسرار البلاغية فيها، ونظراً لمحدودية مثل هذه الأبحاث تركت بقية شواهد المبهمات الزمانية في القرآن الكريم لبحث آخر.

وأهم أهداف هذا البحث: تسليط الضوء على موضوع المبهمات الزمانية عند السيوطي، ودراسة شواهدها، وبيان أسرارها البلاغية.

منهج البحث: اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي، لجمعه بين الدراسة النظرية والتطبيقية، فتناولت الشواهد، وبينت معناها، وأهم ما فيها من تراكيب بيانية، وأسرار بلاغية، ثم بينت اللفظ المبهم، وسره البلاغي.

الدراسات السابقة: حسب بحثي المتواضع لم أجد دراسة سابقة، أو بحثاً علمياً متكاملاً يدرس شواهد المبهمات الزمانية عند السيوطي دراسة بلاغية، وكل ما وجدته هو دراسات تفسيرية للمبهمات القرآنية، من متخصصين في علوم القرآن، من أهمها:

- "المبهمات الزمانية عند ابن جماعة، دراسة تفسيرية" د. عبدالغفور اغلام عبدالغفور، والمنشور في مجلة جامعة سامراء المجلد: ١١، العدد: ٤١، السنة ١١، حزيران: ٢٠١٥م.

- "المبهمات في القرآن الكريم" زيد بن علي مهارش، والمنشور في مجلة جامعة جازان، فرع العلوم الإنسانية، المجلد: ٢، العدد: ٢، رجب: ١٤٣٤هـ.

-"كشف البيان عن فوائد وأسرار المبهمات في القرآن" د. حصة الغزال، والمنشور في: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، العدد: ٢١، ج١/١٤٢٣هـ.

-"المبهم في القرآن وحكمه" د.محمد عبدالرحمن جعفر، والمنشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ٦٥، ج ١، ربيع الثاني: ١٤٣٦هـ.

ومن خلال النظر في هذه الأبحاث وجدت أنها تهتم بالدراسة النظرية، والدراسة التفسيرية للمبهمات في القرآن الكريم، ولم تتطرق للدراسة البلاغية.

وقد بدأت هذا البحث بتمهيد، ذكرت فيه نبذة مختصرة عن تعريف علم المبهمات، ومدى اهتمام السلف به، ثم حكم البحث فيه، ثم أهم من تحدث فيه، ثم أسباب الإبهام.

ثم بدأت بدراسة شواهد المبهمات الزمانية عند السيوطي، ووزعتها على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مبهمات أفادت التأكيد. المبحث الثاني: مبهمات أفادت التقليل.

المبحث الثالث: مبهمات أفادت الترهيب والتهديد.

المبحث الرابع: مبهمات أفادت الامتنان.

وختاماً أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفو عما فيه من خلل أو تقصير.

التمهيد

أولاً: تعريف المبهمات: ١ - المبهمات لغة: جمع، مفرده: مبهم، مشتق من أَبهَم يبهم إبهاماً، والمبهم في اللغة هو الشيء المغلق والغامض، يقول الجوهري (٣٩٣هـ): "وأمر مبهم: لا مأتى له، وأبهم الباب: أغلقه"[١]، ويقول ابن منظور (٧١١هـ): "وليل بهيم: لا ضوء فيه إلى الصباح"[٢]، وعلى هذا فمفهوم المبهم في اللغة يدور حول الخفاء، والإغلاق، والاشتباه، والغموض وعدم الوضوح، وعدم العلم بالشيء.

٢ - المبهمات اصطلاحاً: يعد السهيلي (٥٨١هـ) أول من ذكر تعريفاً للمبهمات في القرآن الكريم، يقول: "هي ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر مَن لم يسمَ فيه باسمه العلم، من نبي، أو ولي، أو غيرهما من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو شجر، أو كوكب، أو حيوان له اسم علم، قد عرف عند نقلة الأخبار، والعلماء الأخيار"[٣].

وذكر ابن جماعة (٧٣٣هـ) في مقدمة كتابه "غرر التبيان" كلاماً يوضح فيه هدفه من الكتاب، يقول: "هذا كتاب اختصرت فحواه من كتاب سبق لي في معناه، أذكر فيه إن شاء الله تعالى اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته، أو لقبه، أو كنيته، وأنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعنيّ بالناس والمؤمنين، إذا ورد لقوم مخصوصين، وعدد ما أبهم عدده، وأمد ما لم يبين أمده"[٤].

---

(١) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، باب الميم، فصل الباء، مادة (ب هـ م) (١٨٧٥/٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، باب الميم فصل الهاء، مادة (ب هـ م) (٥٧/١٢).

(٣) التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن، السهيلي (١٦).

(٤) غرر التبيان، ابن جماعة (١٩١).

ومن خلال ما سبق يمكن أن نذكر تعريفاً مختصراً للمبهمات القرآنية، فهي: الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم على وجه الإشارة، من غير تصريح بأسمائها، أو نسبها، أو عددها، أو زمانها، أو مكانها، ولا يتبين ذلك إلا بواسطة النقل الصحيح عن ثقات الأمة.

ثانياً: اهتمام السلف بعلم المبهمات: وردت آثار عديدة عن اهتمام بعض الصحابة بالسؤال عما أبهم في القرآن الكريم، ومنها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، إذ يقول: " أردت أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، مَن المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة، وحفصة"[(١)]، وذكر السيوطي (٩١١هـ) أن هذا الحديث أصل في علم المبهمات، ثم ذكر تعليق السهيلي على قول عكرمة مولى ابن عباس، الذي طلب اسم الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت، أربع عشرة سنة، بأنه دليل واضح على اعتناء السلف بهذا العلم، ونفاسته عندهم، ثم قال: هذا الكلام مروي عن ابن عباس نفسه.[(٢)]

ومن الآثار الواردة عن ابن عباس أنه قال: "لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾[(٣)] فحججت معه، فعدل وعدلت معه بالإداوة، فتبرز حتى جاء، فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ، فقلت: يا أمير

(١) صحيح البخاري، (١٥٨/٦) كتاب التفسير، حديث رقم (٤٩١٤).

(٢) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي (٨).

(٣) سورة التحريم (٤).

المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ ، فقال: واعجبي لك يا ابن عباس، عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، ...).[١]

وهذا فيه دلالة على حرص ابن عباس على السؤال عما أبهم في القرآن، وعدم إنكار عمر بن الخطاب عليه، بل أجابه بسرعة، وساق عليه الرواية كاملة.

ثالثاً: حكم البحث في المبهمات: ذكر السيوطي أن مرجع هذا العلم هو النقل المحض فقط، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل يُرجع فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم[٢]، وذكر الزركشي (٧٩٤هـ): أنه لا يجوز البحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه، كقوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾[٣]، ثم قال: والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة، أو من الجن.[٤]

وقد ردّ السيوطي على كلام الزركشي السابق، وأنه لا جرأة في القول بأن المقصود بهم قريظة أو الجن، يقول: " قلت: ليس في الآية أن جنسهم لا يعلم، وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن، وهو نظير قوله في المنافقين: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى

(١) صحيح البخاري (١٣٣/٣) كتاب المظالم والغصب، حديث رقم (٢٤٦٨).

(٢) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٨).

(٣) سورة الأنفال (٦٠).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١٥٥/١).

ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ ﴾[1] فإن المنفي علم أعيانهم، ثم القول في أولئك أنهم من الجن ورد في خبر مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره، فلا جراءة"[2][3].

رابعاً: أهم من تحدث في المبهمات:

١ - عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (٥٨١هـ): وهو أول من ألف كتاباً خاصاً في علم المبهمات، سماه: التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن، وهو كتاب مطبوع، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت، بتحقيق: عبدأ مهنا، عام ١٤٠٧هـ.

٢ - محمد بن علي الغساني (ابن عسكر) (٦٣٦هـ)، صنف فيه كتابه: التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، وفيه ألحق الشواهد التي لم يذكرها شيخه السهيلي، وهو كتاب مطبوع، وحققه الأستاذ: حسين عبدالهادي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٤هـ، وطبعته عدة دور نشر، منها: مكتبة نزار مصطفى الباز، بتحقيق: أسعد محمد الطيب عام ١٤١٨هـ.

٣ - القاضي بدر الدين ابن جماعة (٧٣٣هـ): ألف فيه كتابيه: ١ - التبيان في مبهمات القرآن، وذكره السيوطي ضمن مصادره في مقدمة كتابه: الإتقان[1]، وهو مفقود.

---

(١) سورة التوبة (١٠١).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٩١٠٧) ١٧٢٣/٥، والحديث المذكور لا يصح، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨٢/٤) بعد إيراده: "وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه".

(٣) مفحمات الأقران، السيوطي (٩).

٢ - غرر التبيان في مَن لم يسم في القرآن، وهو كتاب مطبوع، نشرته دار ابن قتيبة، بتحقيق: د. عبدالجواد خلف، ط١/١٤١٠هـ.

٤ - محمد بن علي البلنسي (٧٨٢هـ): صنف فيه كتابه: تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، وهو كتاب مطبوع، نشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت، بتحقيق: د. حنيف القاسمي، ط١/١٤١١هـ.

٥ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) تكلم عن علم المبهمات في كتابه: البرهان في علوم القرآن، وقد ذكره في النوع السادس، وهو كتاب مطبوع، نشرته دار إحياء الكتب العربية، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/١٣٧٦هـ.

٦ - جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): تحدث عن المبهمات في كتبه التالية:

١ - الإتقان في علوم القرآن، وذكره في النوع السبعين، وذكر أن أول من أفرده بالتأليف هو السهيلي، وهو كتاب مطبوع نشرته الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة عام ١٣٩٤هـ.

٢ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، وذكر علم المبهمات في الوجه الثالث والثلاثين من وجوه إعجاز القرآن، وهو كتاب مطبوع، نشرته دار الكتب العلمية: بيروت عام ١٤٠٨هـ.

٣ - مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، وهو كتاب خاص بالمبهمات في القرآن، ذكر في مقدمته أهم من ألف في هذا العلم، ثم ذكر أن كتابه حوى كثيراً من الفوائد والزوائد، وعزو كل قول إلى من قاله، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير

=

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣٤/١).

المسندة، وقامت مؤسسة علوم القرآن بدمشق وبيروت بطباعة هذا الكتاب عام ١٤٠٣هـ.

وقد انصبّ اهتمام مؤلفي هذه الكتب على بيان موضع المبهمات في القرآن، والمراد منها، وبيان معناها، فاهتموا بالدراسة التفسيرية، ولم يتطرقوا للدراسة البلاغية.

خامساً: أسباب الإبهام في القرآن الكريم:

١ - أن يبهم اللفظ في موضع للاستغناء ببيانه في موضع آخر.

٢ -أن يبهم اللفظ لكونه متعيناً ومعروفاً، وذلك لاشتهاره.

٣ - أن يبهم اللفظ لقصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه.

٤ - أن يبهم اللفظ لعدم وجود كبير فائدة في تعيينه.

٥ - أن يبهم اللفظ للتنبيه على العموم وأنه غير خاص، بخلاف ما لو عين.

٦ - أن يبهم اللفظ لتعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم.

٧ - أن يبهم اللفظ لتحقيره بالوصف الناقص.

وقد نقل السيوطي هذه الأسباب عن بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٤٩هـ)، والتي ذكرها في كتابه: البرهان في علوم القرآن.[١]

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/١٥٦-١٦٠).

المبحث الأول: مبهمات أفادت التأكيد.

١ - **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

خاطب الله تعالى في هذه الآية المؤمنين، وحذرهم من استحلال عدد من المنهيات، فنهاهم عن التعدي على حرمات الله وشعائره، ونهاهم عن استحلال القتال في الأشهر الحرم، ونهاهم عن استحلال حرمة الهدي، ولا ما قلد منه، ونهاهم عن استحلال قتال قاصدي البيت الحرام الذين يريدون فضل الله ورضوانه، ثم بين في الآية أنه في حال الإحلال فإنه يحل حينئذ الصيد، ثم نبه على أمر وهو: لا يحملنكم -أيها المؤمنون- بغض قوم منعوكم من المسجد الحرام سابقاً على ظلمهم، والاعتداء عليهم، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على ما فيه معصية وتجاوز لحدود الله، واحذروا مخالفة أمره فإنه شديد العقاب.

جاء النداء في أول الآية بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ للتشديد على العناية بشعائر الله وحرماته، وتنويهاً بشأن المؤمنين، وتنبيهاً لعزائمهم، وتذكيراً لهم[2]، والأسلوب في قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ أسلوب طلبي، جاء بصيغة النهي، مبالغة في النهي عن استحلال عدد من المنهيات، كالتعدي على حرمات الله وشعائره، واستحلال

---

(١) سورة المائدة (٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٨/٦).

القتال في الأشهر الحرم، واستحلال حرمة الهدي، ولا ما قلد منه، واستحلال قتال قاصدي البيت الحرام.

وشعائر: جمع شعيرة، وشعائر الحج هي: مواضع المناسك، وهي أعلام الحج وأعماله[١]، وإضافتها إلى الله تعالى لتشريفها، وتهويل أمر التهاون فيها، واستحلالها[٢]، وفيها استعارة تصريحية، إذ استعار الشعيرة وهي العلامة للمتعبدات التي يتعبد الله بها من مناسك وأعمال.

والنهي في قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ نهي عن القتال في الأشهر الحرم، وهي ما حرمه الله من شهور السنة الهجرية، وهي: محرم، وذو القعدة، وذو الحجة، ورجب، و(أل) في الشهر الحرام: تدل على الجنس، فيشمل الأشهر الأربعة الحرم جميعها، قال الرازي (٦٠٦هـ): "يجوز أن يكون إشارة إلى جميع هذه الأشهر، كما يطلق اسم الواحد على الجنس، ويجوز أن يكون المراد هو رجب، لأنه أكمل الأشهر الأربعة في هذه الصفة"[٣]، والذي عليه أغلب المفسرين أن الشهر الحرام هنا يشمل الأشهر الأربعة الحرم جميعها، والتعبير بالمفرد عن الجمع، يدل على أنها جميعاً بمرتبة واحدة في الفضل.

وقوله: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ نهي عن استحلال الهدي، و هو ما أهداه المرء من بهيمة الأنعام إلى بيت الله، تقرباً به إلى الله، وطلباً لثوابه[٤]، ثم خصص من الهدي

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (مادة: ش ع ر) (١٩٤/٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٣/٣).

(٣) التفسير الكبير، الرازي (٢٨٠/١١).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٦/٨).

﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾، أي صاحب القلائد من الهدي، وعبر بها تأكيداً ومبالغة في تحريم استحلالها، وقيل: أراد القلائد نفسها، فنهى عن التعرض لقلائد الهدي، مبالغة في النهي عن التعرض للهدي، أي: لا تحلوا قلائدها، فضلاً عن أن تحلوها[١]، و﴿ءَآمِّينَ﴾ جمعٌ، مفرده: آم، وهم قاصدو البيت الحرام[٢]، وفي الآية أسلوب الترقي[٣]، لأنه لما أكد على احترام ما قُصد به الحرم من البهائم، رقى الخطاب إلى مَن قصده من العقلاء[٤]، ولو تأملنا الآية لوجدنا أن حرف العطف (الواو) تكرر بين جملها، وهذا من عطف الجزء على الكل؛ للاهتمام بهذه الأشياء، وللدلالة على أنها متلازمة غير منفصلة في الحكم، وفيها أسلوب حذف؛ للإيجاز، تجنباً للإطالة، فبعد كل واو: حذف الفعل ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ والمعنى: (لا تحلوا الشهر الحرام، ولا تحلوا الهدي، ولا تحلوا القلائد...)[٥].

وجاء اللفظان ﴿فَضْلًا﴾ ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بصيغة التنكير؛ للتفخيم، وأضاف اسم الرب للضمير الذي يعود على قاصدي البيت الحرام؛ تشريفاً لهؤلاء القاصدين، وإشعاراً بحصول مبتغاهم[٦]، وفي قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ أسلوب فصل لشبه كمال الاتصال، حيث فصل جملة ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عن

---

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٦٦/٤).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (مادة: أم) (٣٠/١).

(٣) الترقي: هو أن يذكر معنى، ثم يردف بما هو أبلغ منه. (ينظر: التبيان، الطيبي: ٢/ ٢١٩).

(٤) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٨/٦).

(٥) نظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨٢/٦).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٤/٣).

جملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ؛ وذلك للتوضيح، فكأن سؤالاً يخطر لمن يسمع الجملة الأولى: لماذا النهي عن التعرض لقاصدي البيت الحرام؟ فجاء الجواب: لأنهم حالتهم تدل على الخير، وقصدهم القرب من الله.

وقد وردت كلمة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ في هذه الآية، وفي سورتي الفتح والحشر جاءت ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾، والحكمة في ذلك -والله أعلم -: أن آية المائدة جاءت موافقة للسياق الذي يدل على التأنيس والتقريب بعد التخويف، وذلك بعد ذكر عدد من المنهيات والمحرمات، التي تشعر بالخوف لكل من انتهك حرمة هذه الأمور، أما آية الفتح فلم يكن فيها تخويف ولا يوجد ما يستدعي التأنيس، بل كان سياقها سياق مدح، فالمذكورون فيها هم أعظم الأمة قدراً، وهم أهل المزية والاختصاص، فبنيت الآية على مدحهم، وبيان مزيتهم، ولم يكن فيها تخويف يدعو إلى تأنيس واستلطاف، وكذلك آية الحشر، فقد وردت في الثناء والمدح، ولم يتخللها نهي ولا تخويف، ولذا ناسب قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ سياق الآيتين.(١)

والأمر في ﴿فَٱصْطَادُواْ﴾ للإباحة، فالله عز وجل حرم الصيد على المحرم، وأباحه له إذا حل من إحرامه، وليس معناه: أنه واجب عليه إذا حل أن يصطاد(٢)، وجاء الفعل ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ بصيغة الأمر، والجملة إنشائية طلبية، دالة على الأمر الصريح، أما الفعل ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ﴾ فجاء في جملة إنشائية طلبية دالة على النهي،

(١) ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي (١/١١٧-١١٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/١٤٣).

وهذا الأسلوب يعرف بمحسن طباق السلب[١]، فجمع بين متضادين مختلفين في جملة واحدة.

وفي هذه الجملة محسن المقابلة[٢]، وذلك بين ﴿ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ و﴿ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، وكرر لفظة ﴿وَتَعَاوَنُوا۟﴾ للتأكيد على دور الجماعة في الأمر بالخير والمعروف، والنهي عن المنكر والإثم، وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ جملة إنشائية طلبية، فيها أمر بالفعل الصريح (اتقوا)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ (إنّ)، ليؤكد الخبر، ويقرره في النفوس، وهو الوعيد الشديد، لمن تعدى حدود الله، بأن عقابه يوم القيامة سيكون شديداً، وبين هاتين الجملتين أسلوب فصل لشبه كمال الاتصال، حيث فصل الجملة الأولى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عن الجملة الثانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾؛ وذلك للتنبيه والتوضيح والبيان، فكأن سؤالاً يخطر لمن يسمع الجملة الأولى: لماذا نتقي الله؟ فجاء الجواب: إن الله شديد العقاب.

وقد ذكر السيوطي أن شاهد الإبهام هو قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾، فما المقصود بهذا الشهر؟ جاء الإبهام في هذه الآية مبيناً في موضع آخر من القرآن في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[٣]، وابن جرير (٣١٠هـ) يرجح أن يكون المراد به شهر

---

(١) طباق السلب هو: "الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي". (الإيضاح: ٢٥٧).

(٢) المقابلة هي:" أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب". (الإيضاح:٢٥٩).

(٣) سورة التوبة (٣٦).

رجب[١]، والزمخشري (٥٣٨هـ) يرى أنه شهر الحج[٢]، وابن جماعة ذكر أن المقصود به شهر ذي القعدة[٣]، ونقل السيوطي ذلك عن عكرمة، وأن المقصود به شهر ذي القعدة[٤]، وأغلب المفسرين يرجحون دلالته على الأشهر جميعها، فسر الإبهام هنا هو التأكيد على تعظيم هذه الأشهر، فهي جميعاً بمرتبة واحدة في الفضل، وفي الأحكام المتعلقة بها، وهذا ما أفاده التعبير بالمفرد عن الجمع.

٢ - قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥].

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن تكذيب المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم، ونفيهم أن يكون القرآن وحياً من الله، وإنما هو –بزعمهم - من وضع النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذوا يتمنّعون، ويطلبون تبديله، فجاءهم الرد، بأن قل لهم يا محمد: إنّ هذا القرآن وحي من الله، وليس من عندي، ولو شاء الله ما تلوته عليكم، ولا أعلمكم ربي به، فإنكم تعلمون أني لبثت فيكم زمناً طويلاً من قبل أن ينزله ربي، ويوحيه إلي، أفلا تتفكرون.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٥/٨).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٦٠١/١).

(٣) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٤٢).

(٤) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٣٦).

(٥) سورة يونس (١٦).

ومعنى قوله: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ﴾ أي: لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته، فمفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف؛ لأن فعل المشيئة يكثر حذف مفعوله في جملة الشرط، لدلالة الجزاء عليه[١]، ومعنى ﴿أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أعلمكم به على لساني، وهو جواب الشرط، وجاء جواب ﴿لَوْ﴾ على الفصيح من عدم إتيان اللام، لكونه منفياً بما، و(لا) مؤكدة، وموضحة أن الفعل منفي، لكونه معطوفاً على منفي، وليست (لا) هي التي تُنفي الفعل بها، لأنه لا يصح نفي الفعل بـ(لا) إذا وقع جواباً، والمعطوف على الجواب جواب.[٢]

وجاءت لفظة ﴿عُمُرًا﴾ بصيغة التنكير؛ للدلالة على طول المدة، فالعمر يطلق على المدة الطويلة التي لو عاش المرء مقدارها لكان قد أخذ حظه من البقاء، وليس المراد: لبثت مدة عمري، لأن عمره لم ينته، بل المراد: مدة قدرها قدر عمر متعارف، وانتصب ﴿عُمُرًا﴾ على النيابة عن ظرف الزمان، لأنه أريد به المقدار من الزمان[٣]، وقد أفادت جملة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الإنكار والتعجب، فالدليل أمامهم، فقد شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وعلموا حاله وخلقه، وعدم معرفته بالقراءة والكتابة، ولم يتعلم على يد أحد طيلة بقائه بينهم، ثم جاءهم بهذا الكتاب الذي يشتمل على أخبار السابقين وأحوالهم، وفيه من الأحكام والآداب ما تستقيم به

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١/١٢٠).

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٦/٢٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١/١٢٢).

حياتهم، بلغة فصيحة بليغة، فعندئذ كل من له عقل راجح، وفكر سليم، سيعلم أن هذا لا يكون إلا بوحي من الله.

وهذا الشاهد ذكره السيوطي في كتابه، ولم يتطرق له أحد قبله ممن صنف في المبهمات القرآنية، والإبهام جاء في لفظة ﴿عُمُرًا﴾، فكم مدة هذا العمر؟ جاء بيان هذا العمر منقولاً عن عدد من الصحابة والتابعين، والمفسرين، فقد نقل السيوطي عن قتادة (١١٨هـ) أن مدة هذا العمر أربعون سنة[١]، ونقل الماوردي (٤٥٠هـ) أن المراد بالعمر أحد وجهين: الأول: ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه، الثاني: أنه أربعون سنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث بعد الأربعين[٢]، فالسر البلاغي للإبهام هنا هو التأكيد على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وكرم أخلاقه، وعدم تغير صفاته التي يعرفها عنه قومه، فقد ولد ونشأ بينهم، ولبث عندهم زمناً طويلاً، اشتهر بأعظم الأخلاق، وعُرف بأجمل الصفات، فذكّرهم بما مضى من عمره فيهم، فهل يمكن لمن كانت هذه أخلاقه أن يكذب عليهم الآن.

٣ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٣].

وردت هذه الآية في سياق قصة يوسف عليه السلام، وهي تحكي تفسيره لرؤيا صاحبيه في السجن، وأن أحدهما سيخرج، ويكون ساقي الملك، والآخر سيصلب،

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٥٣).

(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٤٢٧/٢).

(٣) سورة يوسف (٤٢).

وتأكل الطير من رأسه، ثم قال للذي ظن أنه ناجٍ: أعلم الملك بقصتي، فأنسى الشيطان الناجي أن يذكر للملك قصة يوسف، أو أنسى الشيطان يوسف أن يعتمد على ربه فقط، فلبث بعد ذلك في السجن عدة سنوات، واختلف المفسرون في الموصوف بالظن، هل هو يوسف عليه السلام أو الناجي؟ وذلك على قولين، الأول: الظان هو الناجي، ويكون الظن هنا بمعنى اليقين، إن كان التأويل بطريق الوحي، ويدعمه قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[1]، والثاني: الظان هو يوسف، ويكون الظن هو خلاف اليقين، بناء على أن تأويل يوسف كان بطريق الاجتهاد[2]، وذكر القرطبي (٦٧١هـ) أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن الظن في الآية بمعنى اليقين، عدا قتادة الذي نقل أن الظن في الآية هو خلاف اليقين، يقول: "﴿ظَنَّ﴾ هنا بمعنى أيقن، في قول أكثر المفسرين، وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين، قال: إنما ظن يوسف نجاته؛ لأن العابر يظن ظناً، وربك يخلق ما يشاء، والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء، وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظناً في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهم حق كيفما وقع"[3]، وجاء الفعل ﴿ظَنَّ﴾ بصيغة الماضي، وليس بصيغة المضارع؛ مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة، حسبما يفيده قوله تعالى قبله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[4]، وفي قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: قص عليه قصتي،

(١) سورة يوسف (٤١).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٤٧٢/٢)، ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٤٦/٣-٢٤٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩٤/٩).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٢٨٠/٤).

واذكر له حالي وأمري، وما أنا عليه من الظلم والابتلاء، ففي هذه الجملة إيجاز قصر، فعبر عن المعنى الكثير بأقل الألفاظ.

وفي عود الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ قولان، إما أن يعود على يوسف، والمعنى: فأنسى الشيطان يوسف أن يجعل مستغاثه إلى الله، وإما أن يعود إلى الناجي، والمعنى: أنسى الشيطان الناجي أن يذكر خبر يوسف للملك[١]، والفاء للسببية، فإن وصية يوسف للناجي والتي تضمنت الالتجاء بغير الله، كانت باعثة لما ذكر عن الإنساء[٢]، والفاء في ﴿فَلَبِثَ﴾ تفيد الترتيب والتعقيب، أي فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين.

واشتق البضع من قطعت الشيء، فمعناه القطعة من العدد[٣]، وفي البضع أربعة أقاويل: أحدها: من ثلاث إلى سبع، الثاني: من ثلاث إلى تسع، الثالث: من ثلاث إلى عشر، الرابع: ما بين الثلاث إلى الخمس[٤]، والذي عليه أغلب العلماء أن البضع في العدد من الثلاث إلى التسع، وهو برأيي أرجح الأقوال.

وقد وقع الإبهام في قوله: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾، فنقل السيوطي عن أنس بن مالك أنها: سبع سنين، وعن ابن عباس: أنها ثنتي عشر سنة، وعن طاوس والضحاك: أنها أربع عشرة سنة، وعن الكرماني: أنه لبث بكل حرف من قوله:

---

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٢/٤٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٤/٢٨٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/١١٢).

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٣/٤٠).

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سنة[١]، وذكر ابن جماعة أنها سبع سنين[٢]، وذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالبضع في هذه الآية هو سبع سنين[٣]، والسر البلاغي في إبهام عدد السنين هو التأكيد على أمر مهم، وهو أن الالتجاء في السراء والضراء يكون لله وحده، وأن الله هو المعين والنصير مهما طالت المدة أم قصرت.

٤ - قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٤].

هذه الآية كانت خاتمة قصة يوسف عليه السلام، وهي تحكي قدوم أهله لمصر، وتذكير والده برؤياه التي رآها في صغره، وأنها قد تحققت، ثم أخذ يوسف يعدد أفضال الله عليه، فقد أخرجه من السجن، وجمع شمله بأهله، وبعد أن أفسد الشيطان بينه وبين إخوته، ثم ختم بالقول: إن ربي لطيف لما يشاء ويريد، إنه هو العليم بعباده، الحكيم في أقواله وأفعاله.

في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ تقديم الرفع على الخرور، مع أن الرفع مؤخر عن الخرور -وإن قدم لفظاً - للاهتمام بتعظيمه

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٥٨-٥٩).

(٢) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٨٦).

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٤٩٣/٢)، ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٤٦٣/١٨).

(٤) سورة يوسف (١٠٠).

لأبويه[١]، وقد أفاد النداء في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التودد والتحبب، وفيه دلالة على بر يوسف بأبيه.

والمقصود بالرؤيا هي التي رآها في صغره، وذكرت في أول السورة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[٢]، وفي الآية دلالة على قصر الزمن بين الرؤية وتحققها، وذلك بذكر الجار في ﴿مِن قَبْلُ﴾، وورد الفعل ﴿أَحْسَنَ﴾ متعدياً بالباء؛ لدلالته على القرب من المحسن، أكثر من التعدية بـ (إلى)، واقتصر يوسف على ذكر خروجه من السجن، وأعرض عن ذكر إخراجه من البئر خوفاً على مشاعر إخوته، مع أن اللفظ يحتمله احتمالاً خفياً[٣]، ولأن فتنة السجن كانت أشد من البئر، فخصه بالذكر والشكر، وقيل: إنه قال ذلك شكراً لله على نقله من البلوى إلى النعماء، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب، فصار أخص بالذكر والشكر، إذ صار بخروجه من السجن ملكاً، وبخروجه من الجب عبداً، وقيل: لو ذكر إخراجه من الجب لتجدد فعل إخوته، وعرّض بهم، ففيها أدب منه عليه السلام[٤]، وزاد الرازي أسباباً أخرى، منها: أنه قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[٥]، ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك تثريباً لهم، فكان إهماله جارياً مجرى الكرم، وأنه لما أُخرج من البئر وقع في

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١٧٧/٣).

(٢) سورة يوسف (٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١٧/١٠-٢١٨).

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٨٣/٣)، ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٨٢/٣).

(٥) سورة يوسف (٩٢).

المضار الحاصلة بسبب تهمة المرأة، فلما أُخرج من السجن وصل إلى أبيه، وزالت التهمة، فكان هذا أقرب إلى المنفعة[١]، وكلمة ﴿نَّزَغَ﴾ تدل على إفساد بين اثنين[٢]، وأسند النزغ إلى الشيطان؛ لأنه الموسوس[٣]، وعبّر بالماضي للدلالة على أن الخلاف بين الإخوة قد انتهى وانقضى، وقسّم الخلاف والنزاع بينه وبين إخوته ولم يفضّل أحداً من الفريقين على الآخر[٤]، وهذا أدب وكرم منه عليه السلام.

وذكر يوسف مجيء أهله من البادية في معرض تعداد نعم الله عليه؛ لإظهار تمام النعمة، فانتقال البدو إلى المدينة ارتقاء في الحضارة، واقتضت لفظة ﴿بَعۡدِ﴾ أن الخلاف بين الإخوة قد انتهى، وقد ذكره إجمالاً؛ اقتصاراً على شكر النعمة، وإعراضاً عن التذكير بالخلاف.[٥]

ونقل الرازي اختلاف العلماء في المدة بين الرؤيا وتحققها بقوله: "اختلفوا في مقدار المدة بين هذا الوقت وبين الرؤيا، فقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون، وهو قول الأكثرين، ولذلك يقولون: إن تأويل الرؤيا إنما صحت بعد أربعين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وعن الحسن أنه ألقي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وبقي في العبودية والسجون ثمانين سنة، ثم وصل إلى أبيه وأقاربه، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة، فكان عمره مائة وعشرين سنة".[٦]

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٥١٢/١٨).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نزغ) (٤١٦/٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣٢٨/٦).

(٤) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٢١٨/١٠-٢١٩).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٧/١٣- ٥٨).

(٦) التفسير الكبير، الرازي (٥١٢/١٨).

والسر في إبهام المدة هنا هو التأكيد على تحقيق وعد الله، والثقة بنصره، طالت المدة أم قصرت، فوعد الله حق، وهذا ما ينبغي أن يكون راسخاً في أذهان المؤمنين، وفي الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن وعد الله لك بالتمكين سيكون حقاً، فلا تقنط، ولا تيأس.

٥ - قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[١].

هذه الآية تحكي جزءاً من قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حيث زعم فرعون أن موسى قد جاء بالسحر ليخرجه من أرضه، فطلب منه موعداً محدداً، وزعم أنه سيفسد عليه سحره، فقال موسى لفرعون: موعدنا للاجتماع ضحى يوم العيد.

واختلف المفسرون في القائل في الآية، فمنهم من ذهب إلى أنه فرعون، وقد بيّن وقت اللقاء، ومنهم من ذهب إلى أنه موسى، ورجّح الرازي أنه من كلام موسى؛ لأنه جواب لقول فرعون ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾[٢]، ولأن تعيين يوم الزينة يكون لمن الحق بجانبه، ولأن قول: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ خطاب للجمع، فلو جعلناه من فرعون إلى موسى وهارون لزم إما حمله على التعظيم، وذلك لا يليق بحال فرعون معهما، أو على أن أقل الجمع اثنان وهو غير جائز، أما لو جعلناه من موسى إلى فرعون وقومه لاستقام الكلام[٣]، و﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ معرفة بالإضافة، فلفظة

(١) سورة طه (٥٩).

(٢) سورة طه (٥٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٦٤/٢٢).

﴿يَوۡمُ﴾ نكرة أضيفت إلى معرفة ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، والتعريف في الزينة للعهد الذهني، فهو يوم معروف ومعلوم عند أهل مصر، فدل قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ على تحديد الوقت بدقة، وخص ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ بالذكر: لإظهار القوة، وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد، ولتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق، وينتقل هذا الأمر إلى جميع الناس في البادية والحاضرة[١]، وآثر ذكر زمان الموعد دون المكان؛ لأنه متضمن له، لأن من عادتهم الاجتماع في مكان معين في يوم الزينة[٢]، والتعبير بالجملة الاسمية المؤكدة ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يدل على ثقة موسى بنصر ربه، وحسن ظنه به.

وإنما قال: ﴿يُحۡشَرَ﴾ بالبناء للمجهول لأن الناس في هذا اليوم يجتمعون بأنفسهم، من غير حاشر لهم[٣]، والضحى: هو الوقت بعد طلوع الشمس[٤]، وخص وقت الضحى لأنه أول النهار، وليستقبل النهار من أوله، فلو امتد الأمر فيما بينهم كان هناك متسع من الوقت، فيكون أظهر لما يعمل، ولا يأتي الليل إلا وقد انتصر الحق، وزهق الباطل[٥]، وقد بينت الآية موعد اللقاء بالتفصيل، فقوله: "﴿يَوۡمُ

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣/٧١).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/٣٠٢).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٢٢/٦٤).

(٤) ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة (ض ح ا) (٦/٢٤٠٦).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١/٢١٤)، ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٢/٣٠٢).

﴿ٱلزِّينَةِ﴾ تعيين للوقت، وقوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ تعيين للمكان، وقوله: ﴿ضُحًى﴾ تقييد لمطلق الوقت"[١].

و(أل) التعريف في الناس تدل على العهد الذهني، فالمقصود أهل مصر لا غيرهم، وعبر بالفعل ﴿يُحۡشَرَ﴾ دون (يجمع) للدلالة على تكدس الناس بعضهم على بعض، وكثرتهم في هذا اليوم.

والتعبير بالمصدر المؤول في ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أبلغ من التعبير بالمصدر الصريح؛ لأن المصدر الصريح يدل على الحدث مجرداً، أما المؤول فبجانب دلالته على الحدث فإنه يدل على الزمان، وهنا دل على أن الحشر سيكون مستقبلاً.

وشاهد الإبهام في قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، فأي يوم هو؟ جاء بيان ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين، ونقلها عنهم بعض المفسرين، ومنهم الفراء (٢٠٧هـ): الذي ذكر أنه يوم عيد لهم، وقيل: إنه يوم سوق كانت تكون لهم، يتزينون فيها[٢]، وذكر ابن جماعة أن يوم الزينة هو يوم عيد النيروز، وقيل هو يوم عاشوراء[٣]، ونقل البلنسي أنه كان يوم عيد لهم، وصادف يوم عاشوراء، وكان يوم سبت[٤]، ونقل السيوطي عن ابن عباس أنه يوم عاشوراء[٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/٢٤٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٢/١٨٢).

(٣) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٣٣٧).

(٤) ينظر: تفسير مبهمات القرآن، البلنسي (٢/٢٠٨).

(٥) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٧٢).

والسر البلاغي هنا هو التأكيد على نصر الله لعباده المؤمنين، مهما كان الخصم، ومهما حشد له من أعوان، فموسى عليه السلام كان على ثقة تامة بنصر ربه، ويريد أن يكون ذلك أمام الملأ، وفي أكثر الأوقات شهرة عند أهل مصر، وما ذاك إلا ثقة بنصر الله، وحسن ظن به.

المبحث الثاني: مبهمات أفادت التقليل.

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[١].

هذه الآية جاءت في سياق امتنان الله تعالى على بني إسرائيل، وتذكيرهم بالنعم العظيمة، والفضائل الكثيرة، التي حباهم بها، ومنها حين واعد موسى ربه أربعين ليلة لإنزال التوراة، فإذا بقومه يتخذون العجل الذي صنعوه إلهاً يعبد من دون الله، فظلموا أنفسهم بهذا العمل.

والمواعدة على وزن مفاعلة، ولا بد أن تكون بين اثنين[٢]، واستعملت المواعدة هنا مجازاً، لأن المناجاة والتكلم يقتضي القرب، فهو بمنزلة اللقاء على سبيل الاستعارة، ولذلك استغنى عن ذكر الموعود به؛ لظهوره من صيغة المواعدة، وقيل: المفاعلة على حقيقتها، بتقدير أن الله وعد موسى أن يعطيه الشريعة، وأمره بالحضور للمناجاة، فوعد موسى ربه أن يمتثل لذلك، فكان الوعد حاصلاً من الطرفين، والمواعدة هي أمر الله تعالى لموسى أن ينقطع أربعين ليلة؛ لمناجاة الله تعالى، وإطلاق الوعد على هذا الأمر فيه تشريف لموسى عليه السلام.[٣]

---

(١) سورة البقرة (٥١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٣/٥١٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٤٩٧).

وفي قوله: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ حذف، والتقدير: وإذ واعدنا موسى انقضاء أو تمام أربعين ليلة[١]، وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل (يوماً)؛ لأن الشهور تبدأ من الليالي[٢]، وقيل: لأن الليلة أسبق من اليوم، فهي قبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التاريخ القمري، فالليالي أول الشهور، والأيام تبع لها[٣]، وجاءت جملة ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ معطوفة بالحرف (ثم) الذي يفيد التراخي الترتيبي في عطف الجمل، وعطف الآية التي بعدها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أيضا بـ(ثم)؛ لتراخي مرتبة العفو العظيم عن عظيم جرمهم، فروعي في هذا التراخي أن ما تضمنته هذه الجمل عظائم أمور في الخير وضده، تنبيهاً على عظم سعة رحمة الله بهم قبل المعصية وبعدها، وحذف المفعول الثاني للفعل ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾ للعلم به، ولشناعة ذكره، وتقديره: معبوداً أو إلهاً، وفائدة ذكر ﴿مِنۢ﴾ للإشارة إلى أن الاتخاذ ابتدأ من أول غياب موسى عليه السلام[٤]، وليس المقصود في الآية التراخي الحقيقي بوجود فاصل زمني بين المعطوف والمعطوف عليه، بل المقصود: التراخي المجازي يراد به الاستبعاد، شبه البعد المعنوي بالبعد الحسي المقدر بالزمن، ومفهوم مجاز الاستبعاد في (ثم) هو أن يكون ما بعد (ثم) أمراً مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها، أو إذا كان ما قبل (ثم) من الأحداث والأفعال مهيئاً لعدم حصول ما بعدها، فاتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً لم يتطاول زمنه عن ذهاب موسى لميقات ربه، فمبجرد تركه لهم للقاء ربه،

(١) ينظر: معاني القرآن، الأخفش (٩٧/١)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٩٥/١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٥١١/٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٩٦/١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٩٩/١).

ومناجاته من أجلهم حتى أسرعوا إلى عبادة العجل، بدليل القيد في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ فهذا يوحي بإسراعهم إلى عبادة العجل الذي أخرجه السامري مباشرة بمجرد ابتعاد موسى عنهم، فالتراخي في حرف المهلة (ثم) ليس حقيقياً، وإنما هو مجاز استبعاد العقل وقوع عبادة العجل من قوم أفاض الله عليهم بنعمه، وأراهم من المعجزات ما أراهم، مما يستوجب منهم المزيد من الشكر[١]، وفي قوله: ﴿بَعۡدِهِۦ﴾ إضمار لذكر موسى؛ تقريراً لما كان ينبغي أن يكونوا عليه من الترقب لما يأتيهم به موسى من فوائد المناجاة.[٢]

وقد وردت آية أخرى في سورة الأعراف تفيد أن المواعدة كانت متفرقة، فواعده أولاً ثلاثين ليلة، ثم زيدت عشراً، وهي قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾[٣]، ينقل الرازي التوفيق بين الآيتين عن الحسن البصري (١١٠هـ)، الذي يقول: " ليس المراد أن وعده كان ثلاثين ليلة، ثم بعد ذلك وعده بعشر، لكنه وعده أربعين ليلة جميعاً، وهو كقوله: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾[٤]"[٥]، وقال الفراء جامعاً بين الآيتين: "كان ذلك - والله أعلم - أن الثلاثين كانت عدد شهر، فذكرت

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم) د. محمد الخضري (١٩٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١/٣٦٥).

(٣) سورة الأعراف (١٤٢).

(٤) سورة البقرة (١٩٦).

(٥) التفسير الكبير، الرازي (٣/٥١١).

الثلاثون منفصلة لمكان الشهر، وأنها ذو القعدة، وأتممناها بعشر من ذي الحجة، كذلك قال المفسرون، ولهذه القصة خصت العشر والثلاثون بالانفصال"[١].

وشاهد الإبهام الزماني في هذه الآية هو قوله: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، فما تحديدها؟ وفي أي شهر كانت؟ نقل السيوطي تحديدها عن ابن جرير، فقال: هي ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة[٢]، وقد ذكر تحديد هذه الأربعين قبل السيوطي عدد من المفسرين، منهم: الفراء الذي ذكر أن المقصود بها: شهر ذي القعدة، وعشر من ذي الحجة[٣]، ومنهم: ابن عسكر[٤]، وابن جماعة[٥]، والبلنسي[٦].

وهذه الآية جاءت في سياق تعداد نعم الله تعالى على بني إسرائيل، ولم يكن في السياق تفصيل لمشهد مواعدة الله تعالى لموسى عليه السلام، وعبادة قومه للعجل، فمشهد المواعدة جاء مجملاً في القصة، فناسب أن يذكر عدد الليالي فقط مناسبة لإجمال المشهد وإيجازه.

والسر البلاغي الذي أفاده الإبهام هو التقليل، فالمدة التي غابها موسى عليه السلام كانت ليالٍ قليلة، ومع ذلك لم ينتظر بنو إسرائيل قدوم موسى، فمبجرد تركه لهم للقاء ربه، أسرعوا لعبادة العجل، فارتكبوا جرماً عظيماً باتخاذهم العجل إلهاً يعبد من دون الله.

---

(١) معاني القرآن، الفراء (٣٦/١).

(٢) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (١٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٣٦/١).

(٤) ينظر: التكميل والإتمام، ابن عسكر (٥٠).

(٥) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٠٣).

(٦) ينظر: تفسير مبهمات القرآن، البلنسي (١٥٢/١).

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

يخبر تعالى عن اليهود أنهم قالوا: لن تصيبنا النار في الدار الآخرة إلا أياماً قليلة معدودة، فأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: أعندكم عهد من الله، فإن الله لا يخلف عهده؟ لكن الواقع أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون.

جاء النفي في قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ بالحرف (لن)، الدال على تأبيد النفي؛ تأكيداً لانتفاء العذاب عنهم، ومراد اليهود من قولهم: ﴿أَيَّامًا﴾ أنهم غير مخلدين في النار، وجمعت الأيام جمع قلة، وإن كان يدل على عدم التخليد في النار لكنه ربما استعير للكثرة، وزادوا المعنى المراد تأكيداً وتصريحاً بوصف الأيام بأنها: ﴿مَّعْدُودَةً﴾ أي منقضية، فدلت على أن مرادهم قلة مكثهم في النار، واقتصر على الوصف بالمفرد لكفايته في هذا المعنى، وكثر في صفة الجمع إذا جاءت مؤنثة أن يؤتى بها بصيغة الإفراد[2]، وقد يكون النفي بالحرف (لن) لتأكيد انتفاء خلودهم في النار، أو عذابهم فيها أزماناً طويلة.

والاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أفاد التبكيت والتوبيخ، ومعنى ﴿عَهْدًا﴾ أي: خبراً أو وعداً بما تقولون، ومعناه: إن زعمكم بعدم مساس النار لكم إلا أياماً معدودة، لا يكون إلا بناءً على وعد قوي، ولذلك

---

(١) سورة البقرة (٨٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٤٩٤/١)، ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٧٩/١-٥٨٠).

عبر عنه بالعهد[١]، واستعمال العهد هنا استعارة تصريحية أصلية، بمعنى الوعد المؤكد بالقسم.

ولفظة ﴿مَّعۡدُودَةً﴾ في هذه الآية جاءت بصيغة الإفراد، وجاءت بصيغة الجمع في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[٢]، وإذا استعرضنا توجيه المفسرين وعلماء المتشابه للآيتين، والفرق بينهما، نجد أن أغلبهم غلّب الجانب النحوي، وجعلوه سبباً في الاختلاف بين الكلمتين، فالإسكافي (٤٢٠هـ) يرى أن الفرق في الآيتين بين الإفراد والجمع إشارة إلى الجمع بين الأصل والفرع[٣]، ووافقه كل من الكرماني (٥٠٥هـ)[٤]، والرازي (٦٠٦هـ)[٥]، وابن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ)، لكن ابن الزبير لم يتوقف عند السبب النحوي، بل أضاف سبباً آخر، فيه تأمل وتدبر، فآية البقرة بدئت بقوله: ﴿وَقَالُواْ﴾، فهي مبنية على الإيجاز، أما آية آل عمران فجاء أولها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ ففيها زيادة عن آية البقرة، فهي مبنية على الإطناب والإسهاب، يقول: " وإذا تبين ما ذكرناه، وأنه الجاري الكثير مع ما وقع في آية البقرة من الإيجاز، وفي الأخرى من الإطالة، ألا ترى قوله تعالى في آية آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، وفي البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٢١).

(٢) سورة آل عمران (٢٤).

(٣) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي (١/٢٦٠-٢٦٥).

(٤) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني (٧٦).

(٥) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٣/٥٦٧).

مَّعۡدُودَةَ﴾، وإخباره تعالى باغترارهم بقوله: ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾، وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم، ولم يقع في سورة البقرة تعرض لشيء من ذلك، بل أوجز القول، ولم يذكر سببه، فناسب الإفراد الإيجاز، وناسب الجمع الإسهاب، ولو جمع في سورة البقرة، وأفرد في سورة آل عمران، أو أفرد فيهما، أو جمع فيهما، لما ناسب، فورد كل على ما يناسب ويجب" [(١)].

أما ابن جماعة فيرى أن ﴿مَّعۡدُودَةَ﴾ جمع كثرة، ومعدودات: جمع قلة، وسبب ذلك أن قائلي ذلك من اليهود فرقتان: إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا، وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوماً، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة يحتمل أن يقصد بها الفرقة الثانية، وآية آل عمران يحتمل أن يقصد بها الفرقة الأولى[(٢)]، ولا أميل إلى ما ذهب إليه ابن جماعة من أن ﴿مَّعۡدُودَةَ﴾ جمع كثرة، بل هي في رأيي لفظ مفرد.

أما أبو حيان (٧٤٥هـ) فلم يذكر فرقاً بينهما، بل ذكر أنهما فصيحتان، يقول: "وتقدم تفسير هذه الأيام المعدودات في سورة البقرة، فأغنى عن إعادته هنا، إلا أنه جاء هناك ﴿مَّعۡدُودَةَ﴾، وهنا: ﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ وهما طريقان فصيحان، تقول: جبال شامخة، وجبال شامخات، فتجعل صفة جمع التكسير للمذكر الذي لا يعقل تارة لصفة الواحدة المؤنثة، وتارة لصفة المؤنثات، فكما تقول: نساء قائمات، كذلك تقول: جبال راسيات، وذلك مقيس مطرد فيه"[(٣)]، وكل سياق استدعى ما ذكر فيه،

---

(١) ملاك التأويل، الغرناطي (١/٢٢٦-٢٢٧).

(٢) ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة (١٠٣).

(٣) البحر المحيط، أبو حيان (٣/٨٣).

فسورة البقرة جاء فيها الإخبار من الله عن جنايات اليهود، وتعداد جرائمهم، ومنها قولهم هذا، اغتراراً واستخفافاً بعذاب الله، فجاء تهوينهم للعذاب في هذا السياق أقل مبالغة في النفي، لذا كان الملائم في هذا المقام استخدام صيغة المفرد الدالة على الكثرة، بخلاف آل عمران، جاءت في سياق تعجب وتشنيع على اليهود، فاقتضى ذلك مبالغتهم في تهوين العذاب وتقليله، فأوثرت فيها صيغة الجمع.

وشاهد الإبهام هو قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، فما عدد هذه الأيام؟ ذكر ابن جماعة أنها سبعة أيام، وقيل: أربعون[1]، أما السيوطي فقد نقل عن الطبراني (٣٦٠هـ) أنها سبعة، وعن ابن أبي حاتم وابن جرير بسند ضعيف: أنها أربعون[2].

وقد أفاد الإبهام الدلالة على قلة المدة التي زعم اليهود أن النار ستصيبهم يوم القيامة، وقد جاء الرد على هذا الزعم بالاستفهام الإنكاري الذي أفاد الإنكار والتبكيت والتوبيخ للقائلين، فإن هذا الزعم لا يكون إلا بناءً على وعد قوي، وهذا ليس موجوداً عندهم، بل هو كذب وتدليس من عند أنفسهم.

٣ - قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

(١) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٠٧).

(٢) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (١٥).

(٣) سورة البقرة (١٩٧).

هذه الآية وردت في سياق الحديث عن الحج، والتحذير من بعض المنهيات فيه، فالحج يكون في أشهر معينة، فينبغي على من عزم أداءه فيها أن يترك الرفث، والفسوق، والجدال، ثم أمر تعالى الحاج بالتزود في سفره، ثم بين حقيقة مهمة في هذه الدنيا، وهي أن الزاد الحقيقي هو التقوى، وهو خير ما يستعد به ليوم القيامة.

وأصل الحج: هو القصد للزيارة، فيُقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك[1]، والتعريف في الحج للجنس، فهو عبادة معروفة، فيقصد الحاج بيت الله الحرام، ويزوره في موسم معين، في وقت واحد، لمن قدر على ذلك من المسلمين.

وقد وقع ترك في بداية هذه الآية، وتقديره: أشهر الحج أشهر معلومات، أو: وقت الحج أشهر معلومات، يقول الرازي: "من المعلوم بالضرورة أن الحج ليس نفس الأشهر، فلا بد هاهنا من تأويل، وفيه وجوه، أحدها: التقدير: أشهر الحج أشهر معلومات، فحذف المضاف، وهو كقولهم: البرد شهران، أي وقت البرد شهران، والثاني: التقدير: الحج حج أشهر معلومات، أي لا حج إلا في هذه الأشهر، ولا يجوز في غيرها، كما كان أهل الجاهلية يستجيزونها في غيرها من الأشهر، فحذف المصدر المضاف إلى الأشهر، الثالث: يمكن تصحيح الآية من غير إضمار، وهو أنه جعل الأشهر نفس الحج لما كان الحج فيها، كقولهم: ليل قائم، ونهار صائم"[2]، ومجيء لفظة ﴿أَشْهُرٌ﴾ بصيغة جمع القلة تمهيداً لقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾؛ وتهويناً لمدة ترك هذه المنهيات، لصعوبة ترك ذلك دائماً، ولذلك قللت

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٢١٨).

(٢) التفسير الكبير، الرازي (٥/٣١٤).

بجمع القلة[١]، وجمعت ﴿أَشۡهُرٌ﴾ جمع تقليل، على سبيل التنكير، فلا يتناول الكل، وإنما أكثره إلى عشرة، وأدناه ثلاثة، وعند التنكير ينصرف إلى الأدنى، فثبت أن المراد أن أشهر الحج ثلاثة، والمفسرون اتفقوا على أن تلك الثلاثة هي: شوال، وذو القعدة، وبعض من ذي الحجة، وفائدة وصف الحج بقوله: ﴿مَّعۡلُومَٰتٌ﴾ أنه يكون في السنة مرة واحدة، في وقت معلوم منها، وليس كالعمرة التي تكون في أي وقت في السنة، وليس لها شهر معين، وجعل معرفة هذه الأشهر اعتماداً على ما علموه قبل نزول الإسلام، فلم يأت الإسلام بخلاف ما عرفوا، وإنما جاء مقرراً له، أو أن المراد بها معلومات ببيان النبي صلى الله عليه وسلم لها، أو أن المراد أنها مؤقتة في أوقات معينة لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها.[٢]

والفراء يرى أن سبب جمع اللفظة على أشهر، مع أنها في الحقيقة شهران وعشرة أيام؛ لأن العرب إذا كان الوقت مقصوداً به الحج أو شبهه من العبادات جعلوه في التسمية للثلاثة والاثنين، كقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[٣] وإنما التعجل في يوم ونصف، وكذلك التأخر في اليوم الثالث من أيام التشريق، وليس منها شيء تام[٤].

وأسلوب النفي بـ(لا) النافية للجنس الذي يفيد عموم النفي في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ جاء للتفخيم، والتأكيد على الحذر من هذه

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/٢٣١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٥/٣١٥).

(٣) سورة البقرة (٢٠٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن، الفراء (١/١١٩-١٢٠).

المنهيات[١]، وهو يفيد المبالغة في النهي عن هذه الأمور، ويفيد الدلالة على الحقيقة، وأن الفسوق والجدال يجب ألا تكون في الحج ولا غيره، فاجتنابها واجب في كل حال، وما كانت منها مستقبحة في أنفسها، ففي الحج أقبح[٢]، وفي قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ إظهار في موضع الإضمار، وسياقه أن يقول: فلا جدال فيه، لكن الإظهار في مقام الإضمار جاء لبيان كمال الاعتناء بشأن الحج، والإشعار بعلة النهي عن الرفث والفسوق والجدال، فإن زيارة البيت الحرام توجب على الحاج ترك هذه الأمور المنهي عنها[٣]، وفي قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ كناية عن الجماع، وفيها دلالة على المعنى الصريح والكناية، فلا جماع في الحج، ولا فحش في الكلام، وفي قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ كناية عن الترغيب في فعل الخير، أما قوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ فقد جاء الفعل (تزود) على وزن تفعّل، وهو مشتق من اسم جامد وهو الزاد، كما يقال: تعمم وتقمص، أي جعل ذلك معه، وإذا كان المقصود بالتزود الاستعداد ليوم القيامة، فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعداداً لذلك اليوم، فشبه المتزود بالخيرات بالمسافر يعد الزاد لسفره، بناء على إطلاق اسم السفر على الموت، وإن كان مستعملاً في الحقيقية وهو التزود بالطعام في سفر الحج، فلا استعارة حينئذ.[٤]

و﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ مأخوذة من (وقاه، وقياً، وقاية، واقية) أي صانه، والوقاية ما وَقَيْت به، والتوقية الكلاءة والحفظ، واتقيت الشيء وتقيته أتقيه: حذرته، والاسم:

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٣٨/٣).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١٣٠/١).
(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٤٨٢/١).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٣٥/٢).

التقوى[١]، وقوله: ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ اللب: هو العقل[٢]، واللب هو خلاصة الشيء، وهو أخص من العقل[٣]، قال البقاعي (٨٨٥هـ): "وما أحسن التعبير هنا باللب الذي هو خلاصة الشيء لأن السياق للإخلاص"[٤]، فميزة ذوي الألباب أنهم أقرب إلى اتباع الحق، وأبعد عن اتباع الهوى، وذلك لأن هذه الألباب تدل على البراءة من مشايعة الإلف، وعلى عدم التسليم المطلق لموروث الآباء للباطل[٥]، وخُص أولو الألباب بالخطاب، مع أن الأمر بالتقوى يعم الكل؛ لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابلوا أوامره، والناهضون بها.[٦]

وقد تكرر لفظ الحج ثلاث مرات في هذه الآية، وهذا من بلاغة الإيجاز، وهو من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر، فالمراد بالحج الأول زمان الحج، وبالثاني نسك الحج، وبالثالث زمانه ومكانه، ففيه إيجاز، ولولا الإظهار لم يكن بد من إطناب غير لازم.[٧]

وهذه الآية بدئت بالأسلوب الخبري الابتدائي ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ حثاً على المسارعة في أداء هذه الشعيرة العظيمة، ولم يحتج لتأكيد الخبر بمؤكدات، لأنهم

(١) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (و ق ى) (١٣٤٤).

(٢) ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة (ل ب ب) (٢١٦/١).

(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٦٩/٧).

(٤) نظم الدرر، البقاعي (٤٦٩/١٦).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (١٨٦/٣).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤١٢/٢).

(٧) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (١٨٣/٢).

يعرفون فضيلة الحج، وأهميته، فلم يكونوا بحاجة للتوكيد، وإنما هم بحاجة فقط للتنبيه والتذكير، وفي قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ إيجاز حذف.

أما قوله: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ فهي جملة إنشائية طلبية، فيها أمر بصيغة فعل الأمر، وهي أمر بالتزود لمن أراد الحج، وترك سؤال الناس، وجاء قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ مؤكداً بـ(إنّ)؛ فإن كان التزود مستعار للاستكثار من فعل الخير، ففيه حث على فعل الخير استعداداً ليوم القيامة، وإن كان التزود مستعملاً في الحقيقية ففيه تأكيد على التزود في السفر، وللتنبيه على أنه من التقوى، لأن فيه صيانة لماء الوجه، واستغناء عن سؤال الناس.

وفي قوله: ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ أسلوب أمر بالفعل الصريح، وفي قوله: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أسلوب نداء بالحرف (يا)، تنبيهاً منه تعالى، ودعوة للمؤمنين إلى العمل بأوامره سبحانه.

وقد وقع الإبهام الزماني في قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ فما هذه الأشهر؟ هذا الشاهد مما انفرد به السيوطي، وجاء بيان هذا الأشهر في نقولات كثيرة عن الصحابة والتابعين، يقول السيوطي: "﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ هي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، كما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عمر، وسعيد بن منصور عن ابن مسعود، والطبراني وغيره عن ابن عباس، وابن المنذر عن ابن الزبير، وقيل: ذو الحجة، أخرجه الطبراني وغيره من حديث ابن عمر مرفوعاً، وسعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب موقوفاً"[1]، والإبهام الزماني في الآية دل عليه

(١) مفحمات الأقران، السيوطي (ص ١٨-١٩).

ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس، أنه قال: "... وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى في كتابه: شوال وذو القعدة وذو الحجة، فمن تمتع في هذه الأشهر، فعليه دم أو صوم"[١]، وقد أفاد الإبهام في ﴿أَشۡهُرٌ﴾ التقليل، فجاءت بصيغة جمع القلة؛ للدلالة على قلة الوقت المخصص للحج، وأنه يجب على الحاج امتثال أوامر الله تعالى فيه، لينال الأجر العظيم، كما دلت الآية على التأكيد على عظمة هذه الأشهر، والرفع من شأنها، يقول البقاعي: "فإنه لما أبهم عين، فقال: ﴿مَّعۡلُومَٰتٌ﴾ أي قبل نزول الشرع، فأذن هذا أن الأمر بعد الشرع على ما كان عليه، ولا شك أن في الإبهام ثم التعيين إجلالاً وإعظاماً للمحدث عنه"[٢]، كما أكدت الآية على أن الحج إنما يكون مرة واحدة في السنة، في أشهر معينة ومعلومة من شهورها، وقد أحالهم تعالى في معرفة تلك الأشهر إلى ما كانوا يعلمونه قبل الإسلام، فالشرع لم يأت على خلاف ما عرفوا، وإنما جاء مؤكداً ومقرراً له.[٣]

٤ - قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٤].

---

(١) صحيح البخاري، (١٤٤/٢) كتاب الحج، حديث رقم (١٥٧٢).

(٢) نظم الدرر، البقاعي (١٣٨/٣).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٣١٥/٥).

(٤) سورة البقرة (٢٠٣).

هذه الآية من آيات الحج المذكورة في سورة البقرة، وفيها حث على ذكر الله، وتكبيره وتسبيحه، خصوصاً في أيام التشريق، ثم بينت الآية حكم التعجل في الحج، فمن أراد التعجل بالحج في اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمرات، فلا ذنب عليه، ومن تأخر لليوم الثالث عشر بعد رمي الجمرات فلا ذنب عليه، لمن اتقى الله في حجه.

وتفيد واو الجماعة في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾ أن الذكر يكون للحاج وغير الحاج، وصيغة الأمر تفيد الندب للذكر، والتأكيد عليه، والتنويه بشأنه، وجاء الأمر للحاج خاصة؛ ليعم الندب إلى الذكر سائر أوقات الحج، حتى لا يُظن أنّ الأمر بذكر الله خاص بالذكر عند قضاء الأركان وإتمام المناسك[1]، والذكر عام فيشمل الأقوال والأفعال، كالصلاة، والتلبية، والتكبير، والنحر، ويشمل التكبير المطلق والمقيد، وبعضها للندب، والبعض الآخر للوجوب.

ولفظة﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ جاءت بصيغة الجمع، وقد نقل القرطبي عن الكوفيين أن الألف والتاء في ﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ لأقل العدد، أما رأي البصريين فهما للقليل والكثير[2]، ونقل الألوسي (١٢٧٠هـ) استشكال وصف أيام بمعدودات، فهو وصف مذكر بمؤنث، فـ (أيام) جمع يوم، وهو مذكر، و﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ جمع معدودة، وهو مؤنث، فكيف تقع صفة له؟ ثم أجاب عن هذا الإشكال بقوله: "وأجيب بأن ﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ جمع معدود لا معدودة، وكثيراً ما يجمع المذكر جمع المؤنث، كحمامات وسجلات، وقيل: إنه قدر اليوم مؤنثاً باعتبار ساعاته، وقيل: إن المعنى

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦٢/٣)، ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة (٥٩٢/٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/٣).

أنها في كل سنة معدودة، وفي السنين معدودات، فهي جمع معدودة حقيقة ولا يخفى ما فيه"[١].

والفعل ﴿تَعَجَّلَ﴾ جاء على صيغة المطاوعة، والزمخشري يرى أن الفعلين: تعجل واستعجل: يجيئان مطاوعين بمعنى عجل، فيقال: تعجل في الأمر واستعجل، ويجيئان متعديين، يقال: تعجل الذهاب واستعجله، ورجح إفادة معنى المطاوعة، لقوله بعده: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾، ثم قال: "فإن قلت: كيف قال: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ عند التعجل والتأخر جميعاً؟ قلت: دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما، كأنه قيل: فتعجلوا أو تأخروا، فإن قلت: أليس التأخر بأفضل؟ قلت: بلى، ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل، كما خير المسافر بين الصوم والإفطار، وإن كان الصوم أفضل"[٢]، فالآية تدل على أن كلا الأمرين مباح، التعجل والتأخر، وعبر عنه بهذا التقسيم، اهتماماً وتأكيداً، لأن من العرب من كان يذم التعجل، ومنهم من كان يذم التأخر[٣]، وقيد التعجل باليومين؛ للإعلام بأن من أدركه الغروب في اليوم الثاني وهو مقيم بمنى، لزمه أن يبيت فيها، ويرمي جمرات اليوم الثالث، فإن نفر وخرج من منى قبل غروب شمس اليوم الثاني سقط عنه المبيت والرمي[٤]، وقد ورد في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فعلان بصيغة الأمر، هما ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ و﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، فـ(اتقوا) أمر بفعل الواجبات، وترك المحرمات،

---

(١) روح المعاني، الألوسي (٤٨٩/١).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٢٤٩/١-٢٥٠).

(٣) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (٤١٣/١).

(٤) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦٤/٣).

و(اعلموا) تأكيد للأمر بالتقوى، وبعث على التشديد فيه، لأن من تصور أنه لا بد من حشر وحساب، صار ذلك من أقوى الدواعي له إلى التقوى[١]، وجاءت هذه الجملة مؤكدة بـ (أنّ)، مضافة إلى ضمير خطاب الجماعة، للاهتمام بالتقوى، وللتأكيد على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه في الحج وغيره، وقدم الجار والمجرور في ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لإفادة الاختصاص، فالحشر إلى الله لا إلى أحد غيره، فهذه المؤكدات في ختام الآية أكدت على قضية مهمة وهي أنهم سيجمعون يوم القيامة، وسيجازون على أعمالهم لا شك في ذلك.

وختمت الآية بلفظة ﴿تُحْشَرُونَ﴾ دون غيرها من الألفاظ، مثل: تصيرون أو ترجعون؛ لأن لفظة ﴿تُحْشَرُونَ﴾ أجمع، فهي تدل على المصير، ولأن الناس بعد انتهاء فريضة الحج يحشرون إلى مواطنهم، وهذا فيه تذكير لهم بالحشر العظيم.[٢]

وذكر أبو حيان أن بين قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ محسناً بديعياً وهو الطباق[٣]، لكنه طباق غريب، لأنه ذكر ﴿تَعَجَّلَ﴾ مطابق ﴿تَأَخَّرَ﴾، وفي الحقيقة أن مطابق ﴿تَعَجَّلَ﴾ هو (تأنى)، ومطابق ﴿تَأَخَّرَ﴾ هو (تقدم)، فعبر في ﴿تَعَجَّلَ﴾ بالملزوم عن اللازم، وعبر في ﴿تَأَخَّرَ﴾ باللازم عن الملزوم، وفيها مقابلة لفظية، إذ إن المتأخر أتى بزيادة في العبادة، ففي المقابل له زيادة في الأجر.[٤]

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٣٤٣/٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦٤/٢).

(٣) الطباق هو: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة". (الإيضاح: ٢٥٥).

(٤) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣٢٣/٢).

وقد ذكر السيوطي أن الإبهام الزماني وقع في قوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ فما هذه الأيام؟ وما السر البلاغي في إبهامها؟ نقل السيوطي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنها أيام التشريق الثلاثة، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً: أنها أربعة أيام: يوم النحر، وثلاثة أيام بعده، ونقل عن علي رضي الله عنه أنها ثلاثة أيام: يوم الأضحى، ويومان بعده[١]، وذكر ابن جماعة هذا الشاهد في كتابه وقال: هي أيام التشريق الثلاثة.[٢]

وهذا الإبهام الزمني محسوم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل)[٣]، والسر البلاغي في الإبهام هو التقليل، فهذه الأيام قليلة العدد، عظيمة الأجر، وقد رغب تعالى عباده بالذكر والتسبيح، وحثهم على اغتنام هذه الأيام القليلة؛ للفوز بالأجور الكثيرة.

٥ - قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾[٤].

وردت هذه الآية في معرض الحديث عن الكعبة المشرفة، وتهيئة مكان بنائها لإبراهيم عليه السلام، ثم بعد بنائها جاء الأمر من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام

---

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (١٩).

(٢) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢١٥).

(٣) صحيح مسلم (٢/٨٠٠) باب تحريم صوم أيام التشريق (١١٤١).

(٤) سورة الحج (٢٨).

بإبلاغ الناس بوجوب الحج، ليحضروا منافع عديدة لهم، ويذكروا اسم الله في أيام عشر ذي الحجة، ويتقربوا بذبح الأضاحي، فيأكلوا من ضحاياهم، ويطعموا منها الفقير والمحتاج.

جاءت لفظة ﴿مَنَٰفِعَ﴾ منكرة؛ للدلالة على أنها منافع مختصة بعبادة الحج، وهي منافع دينية ودنيوية، ولا توجد في غيرها من العبادات[1]، وهي منافع متحققة وهم يحضرونها ويشهدونها، وليست من قبيل الترغيب بالأماني، والوعد بها، وتنكير ﴿مَنَٰفِعَ﴾ مع جمعها على صيغة منتهى الجموع يدل على أنها منافع عظيمة الخطر، كثيرة العدد، وإطلاق المنافع وعدم تقييدها بمنافع معينة يدل على عمومها وشمولها، وتقييدها بأنها ﴿لَهُمْ﴾ زيادة ترغيب في أداء الحج، لما فيه من منافع تعود على الحجيج أنفسهم.

وفي قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دلالة على أن المراد به الإكثار من الذكر، إذ مطلق الذكر مندوب إليه في كل وقت[2]، وفي جعل الذكر من غايات إتيان بيت الله إشارة إلى أنه الغاية القصوى لأعمال الحج، لأنها في الأصل تدور على ذكر الله[3]، وفي الآية كناية عن النحر والذبح، فكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله؛ لأن ذكر اسم الله لا ينفك عن العبادات، خصوصاً النحر والذبح، وفيها تنبيه على أن الغرض الأساس فيما يتقرب به العبد إلى الله أن يذكر اسمه، وجمع في الآية بين قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾، وزاد ذلك الكلام حسناً،

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (١٥٢/٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٣٩/١٣).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٠٤/٦).

ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئاً من ذلك الحسن[١]، وفي قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إدماج[٢]، حيث أدمج في هذا الحكم الامتنان بأن الله رزقهم تلك الأنعام، وفيه تعريض بطلب الشكر على هذا الرزق، فمِنْ شكره تعالى إطعام الفقراء والمحتاجين[٣]، وتخصيص بهيمة الأنعام بالذكر لأنها عماد القربات في أيام النحر، وفي النص عليها حث على مواصلة التقرب بها، والأمر في قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ للإباحة وإزاحة ما كان عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه، أو للندب إلى مواساة الفقراء ومساواتهم، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب يفيد العناية والاهتمام بإرشادهم وتوجيههم إلى الطريق الأنفع، وبما يحقق لهم المصلحة، والبائس في قوله: ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ هو الذي أصابته شدة وبؤس[٤]، وتقديمه على الفقير لما فيه من شدة تستدعي العطف والإطعام، وتخصيص البؤساء والفقراء من الناس لشدة حاجتهم إلى الإطعام، وإن كان يجوز إطعام غيرهم.

وهذا الشاهد ذكره السيوطي، ولم يتطرق له غيره، والإبهام جاء في تحديد الأيام المعلومات، وجاء بيان هذه الأيام منقولاً عن عدد من الصحابة والتابعين، والمفسرين، فقد نقل السيوطي عن ابن عباس: أنها أيام العشر، وعن زيد ابن أسلم: أنها يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق، وعن ابن عمر: يوم النحر، ويومان

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (١٥٣/٣).

(٢) الإدماج: "أن يضمن كلام سيق لمعنى، معنى آخر". وهو من المحسنات المعنوية، (الإيضاح: ٣٦٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤٦/١٧).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٠٤/٦).

بعده[١]، والراجح أنها أيام العشر من ذي الحجة، روى ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟ قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء"[٢]، والسر البلاغي في الإبهام هو الدلالة على قلة هذه الأيام، فهي قليلة العدد، لكنها كثيرة الأجور، فهي ليست كغيرها من الأيام، وفيها ترغيبٌ للحج، وذكر الله، والعمل الصالح.

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٢/٢٠) باب فضل العمل في أيام التشريق، حديث (٩٦٩).

المبحث الثالث: مبهمات أفادت الترهيب والتهديد.

١ - قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [١].

بدئت سورة الفاتحة بالثناء على الله تعالى بصفات الكمال، والشكر له سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فهو رب العالمين، وخالقهم، والقائم بأمورهم، الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته جميع الخلق، وهو سبحانه وحده مالك يوم الجزاء والحساب.

واختيرت لفظة ﴿مَٰلِكِ﴾ دون لفظة رب؛ لأنه لو قيل: رب يوم الدين؛ لكان فيه مطمع للمفسدين، يجدون من شأن الرب رحمة وصفحاً، وأما ﴿مَٰلِكِ﴾ ففيها إشعار بإقامة العدل والجزاء على حسب أعمال العباد، واختيرت كلمة ﴿ٱلدِّينِ﴾ دون الحساب؛ إشارة إلى إقامة الجزاء، فكلٌ يجازى على أفعاله، خيراً أو شراً[٢]، يقول ابن كثير (٧٧٤هـ): "وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه"[٣]، وقال الطيبي (٧٤٣هـ): "وفي اختصاص يوم الدين دون يوم القيامة وغيره من أساميه فائدتان، إحداهما: مراعاة الفاصلة، وثانيتهما: العموم المطلوب في الألفاظ، فإن الجزاء يشتمل

---

(١) سورة الفاتحة (٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/١٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/١٣٣-١٣٤).

على جميع أحوال القيامة، من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم"[١]، فلفظة الدين تدل على انقياد وتذلل لله رب العالمين، وما يستتبع ذلك من حساب ومجازاة على الأعمال خيرها وشرها، فالله جل جلاله له الملك المطلق في ذلكم اليوم، فهو يوم يرجع فيه إلى الله تعالى جميع ما ملّكه لعباده في الدنيا، ويزول فيه ملك كل ملك.

وتخصيص ﴿يَوۡمِ﴾ بالإضافة: للتعظيم والتهويل، أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمور فيه[٢]، وجاء الوصف بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بعد الوصف بقوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ترهيباً من سطوته، يقول البقاعي: "ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكاً، وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة، المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر، المنتج لنفوذ الأمر، أتبع ذلك بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ترهيباً من سطوات مجده"[٣].

وهذه الآية من شواهد المبهمات الزمانية عند السيوطي، حيث نقل عن ابن جرير أن المقصود بيوم الدين: هو يوم القيامة[٤]، وقد ذكر هذا الشاهد: ابن جماعة[٥]، والزركشي الذي ذكر سبب الإبهام في هذه الآية، وهو أنه أبهم في هذا

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي (٧٣٥/١).
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٦/١).
(٣) نظم الدرر، البقاعي (٢٩/١).
(٤) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (١٠).
(٥) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (١٩٣).

الموضع للاستغناء ببيانه في موضع آخر، وذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[1][2].

وقد أفاد الإبهام الزماني في هذه الآية الترهيب من هذا اليوم العصيب، اليوم الذي سترد فيه المظالم لأهلها، هذا اليوم الذي سيعامل الخلق كلهم فيه بالعدل والإنصاف، فكلٌ يجازى على أفعاله خيرها وشرها، فلفظة الدين تدل على كامل الانقياد والتذلل لرب العالمين.

٢ - قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3].

هذه الآية وردت في سياق محاججة الكافرين، وإقامة البراهين عليهم، وتوعدهم بالعذاب حال استمرارهم على كفرهم، فينكر تعالى عليهم عدم إيمانهم، فماذا ينتظرون بعد تكذيبهم وإنكارهم؟ هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لأخذ أرواحهم، أو تأتيهم بالعذاب، أو تأتيهم بعض الآيات مثل أشراط الساعة؟ عندئذ لا ينفع نفساً إيمانها، ولا توبتها.

---

(١) سورة الانفطار (١٧- ١٩).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/١٥٦).

(٣) سورة الأنعام (١٥٨).

والاستفهام بـ ﴿هَلْ﴾ في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ معناه النفي، وهو أدل على المراد من النفي الصريح، إذ يحمل معنى الإنكار والتوبيخ، وتنبيه الغافلين إلى خطورة المصير الذي ينتظرهم، والفعل ﴿يَنظُرُونَ﴾ مضارع نظر، والمعنى ينتظرون[١]، والاستفهام هنا أفاد معاني مجازية أخرى، أبرزها: الوعيد والتهديد، فالله تعالى توعد صنفين من العباد، أولهما: الذين آمنوا ولم ينتفعوا بإيمانهم، ولم يفعلوا الخير أبداً، وثانيهما: الكافرين الذين لم يؤمنوا أصلاً.

أما قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ الكسب في اللغة: طلب الرزق، ومعناه الجمع[٢]، والمراد به هنا العمل الصالح الذي يعد أعظم المكاسب في الدنيا، و(أو) للتقسيم، فالنفس على قسمين: نفس كافرة لم تكن آمنت من قبل، ونفس آمنت ولم تكسب خيراً في مدة إيمانها.[٣]

وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أسلوب قصر، للنفي والاستثناء، يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ): "ثم إن كان الانتظار واقعاً منهم على أنه انتظار آيات، كما يقترحون، فمعنى الحصر: أنهم ما ينتظرون بعد الآيات التي جاءتهم ولم يقتنعوا بها إلا الآيات التي اقترحوها وسألوها وشرطوا ألا يؤمنوا حتى يجاؤوا بها، ... فهم ينتظرون بعض ذلك بجد من عامتهم، فالانتظار حقيقة، وبسخرية من قادتهم ومضلليهم، فالانتظار مجاز بالصورة، لأنهم

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٦/١٤).

(٢) ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة (ك س ب) (٢١٢/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨أ /١٨٧).

أظهروا أنفسهم في مظهر المنتظرين ...، وإن كان الانتظار غير واقع بجد ولا بسخرية، فمعناه أنهم ما يترقبون شيئاً من الآيات يأتيهم أعظم مما أتاهم، فلا انتظار لهم، ...والقصر على الاحتمالين إضافي، أي بالنسبة لما ينتظر من الآيات، والاستفهام الخبري مستعمل في التهكم بهم على الاحتمالين"[(١)]، وجاء لفظ ﴿رَبِّكَ﴾ مكرراً في الآية ثلاث مرات، تسلية وتأييداً للنبي صلى الله عليه وسلم، عندما كذبه قومه.

والتعبير بالبعض في ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أفاد التهويل والتفخيم، كما أن إضافة الرب إلى الضمير العائد إلى النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ للتشريف، وجاءت لفظة ﴿نَفْسًا﴾ منكرة للتعميم[(٢)]، وقد تقدم المفعول به ﴿نَفْسًا﴾ على الفاعل ﴿إِيمَٰنُهَا﴾؛ للاهتمام به، والجملة جاءت خبرية لإعلام المخاطبين بعدم انتفاع الأنفس بالإيمان بعد ظهور أشراط الساعة، وحذف المسند في ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ لتقدمه في الآية، والتقدير: أو كسبت النفس في إيمانها خيراً.

وفي قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ محسن الإدماج، فعندما تكلم عن النفس غير المؤمنة أدمج معها النفس المؤمنة التي لم تفعل خيراً، لتحذير المؤمنين من الإعراض عن الأعمال الصالحة[(٣)]، وفي قوله تعالى: ﴿نَفْسًا﴾ محسن اللف والنشر[(٤)]،

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨٤-١٨٥).

(٢) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٣٠٧/٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨أ /١٨٩).

(٤) اللف والنشر هو: "ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه". (الإيضاح: ٢٦٨).

فقد جاء اللف في هذه الآية مجملاً في قوله: ﴿نَفْسًا﴾، أي نفساً مؤمنة لم تعمل صالحاً، ونفساً كافرة، ثم نشر اللف وفصله، فالمعنى: لا ينفع نفساً إيمانها حينئذ أو كسبت في إيمانها خيراً، وهذا يرجع إلى النفس المؤمنة، أو لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً من قبل، وهو يرجع إلى النفس الكافرة[١]، وفي قوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ تهديد ووعيد للكافرين، وفي هذه الآية محسن رد العجز على الصدر[٢]، فقد جاء في الآية لفظان مكرران، فجاء أحدهما في أول الآية وهو قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾، والآخر في آخر الآية وهو قوله: ﴿مُنتَظِرُونَ﴾، وتظهر بلاغة رد العجز على الصدر في دلالته على المعاني وتأكيدها وتقريرها في النفوس، وفيه كذلك جناس اشتقاق[٣] بين: ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ و ﴿مُنتَظِرُونَ﴾.

هذا الشاهد ذكره السيوطي، وانفرد به، ولم يسم تعالى هذا اليوم في الآية، لكنه ورد في أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، وأن المقصود به هو اليوم الذي تخرج فيه أشراط الساعة، وقد نقل السيوطي أن المراد بهذا اليوم هو وقت طلوع الشمس من مغربها، كما ورد في حديث مرفوع عند مسلم وغيره[٤]، وقال ابن

(١) ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، الصامل (٨٨- ٨٩).

(٢) رد العجز على الصدر: "هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما، في أول الفقرة والآخر في آخرها". (الإيضاح: ٣٨١).

(٣) الجناس هو: " أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى، وجناس الاشتقاق: هو أن يجمع اللفظين الاشتقاق" فاللفظان من اشتقاق واحد. (ينظر: الإيضاح:٢٩٣).

(٤) صحيح مسلم (١٣٧/١) باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (٢٤٩).

مسعود: طلوع الشمس والقمر من مغربهما[١]، وقد أفاد الإبهام هنا تهويل وتعظيم أمر هذا اليوم، وفيه تهديد ووعيد لهؤلاء المكذبين، فالله سبحانه وتعالى توعد من كذب رسله، وخالف أمره، بيوم عظيم، تظهر فيه بعض الآيات العظيمة الشديدة الأهوال، فعندئذ لا ينفع هؤلاء المكذبين توبة ولا رجوع.

٣ - قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٢].

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قصة صالح عليه السلام مع قومه، فعندما كذبوه أرسل الله لهم آية تبين صدق نبيه، وهي الناقة، فأمرهم صالح أن يتركوها، ولا يمسوها بسوء، فما كان منهم إلا أن نحروها، فقال لهم: تمتعوا في منازلكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم، وذلك وعد من الله غير مكذوب، فجاء أمر الله، ونجى صالحاً ومن آمن معه من العذاب، ثم أخذت الصيحة ثمود، فأصبحوا في ديارهم موتى لا حراك لهم.

"والعقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم جُعِل النحر عقراً: لأن العقر سبب لنحره، وناحر البعير يعقره ثم ينحره"[٣]، وقال القرطبي: "العقر: الجرح، وقيل: قطع عضو يؤثر في النفس، وعقرت الفرس: إذا ضربت قوائمه بالسيف،

---

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٤٣).

(٢) سورة هود (٦٥).

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري (١/١٤٥).

وخيل عقرى، وعقرت ظهر الدابة: إذا أدبرته"[١]، وقد نحر الناقة أفراد من قوم ثمود، وأضيف العقر للكل؛ لأنه كان تخطيطاً منهم، وموافقة من الباقين، وحدد لهم ثلاثة أيام؛ لأن فصيل الناقة المعقورة رغا ثلاثاً، فاصفرت ألوانهم في اليوم الأول، ثم احمرت في الثاني، ثم اسودت في الثالث، وهلكوا في الرابع.[٢]

واسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيه معنى البعد، وأفاد هذا المعنى التفخيم[٣]، وقوله: ﴿مَكۡذُوبِۭ﴾ يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول، ويجوز أن يكون اسم مفعول على بابه، وفيه تأويلان، أحدهما: غير مكذوب فيه، ثم حذف حرف الجر للتوسع، والثاني: أنه جعل هو نفسه غير مكذوب، لأنه قد وفى به فقد صدق.[٤]

وقد وقع الإبهام الزماني في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾، فأي أيام الأسبوع كانت؟ جاء بيان هذه الأيام في نقولات عن الصحابة والتابعين، وذكر ابن جماعة أن المقصود بها أيام الأربعاء، والخميس، والجمعة[٥]، ونقل السيوطي عن قتادة أنها كانت أيام الخميس، والجمعة، والسبت، وصبحهم العذاب يوم الأحد.[٦]

والسر البلاغي في إبهام الأيام أن فيها تهديداً شديداً لقوم ثمود إن لم يتوبوا، وفيها تلميح إلى إمكانية التوبة قبل انتهاء المهلة، لكنهم لم يفعلوا، فجاءهم العذاب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٤٠/٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٦٠/٩).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٢٢٢/٤).

(٤) ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٣٤٨/٦-٣٤٩).

(٥) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٨٢).

(٦) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٥٦).

كما أُخبروا، وقد أفادت الآية كذلك الوعيد الشديد لمن خالف أمر الله، بأن هذا العقاب سيكون مصيره.

٤ -قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[1].

هذه الآية تؤكد حقيقة الكافرين، فلا يزالون في شك مما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقيل: في الدين، ولا يزالون على كفرهم، إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، والمقصود بالذين كفروا في هذه الآية هم مشركو العرب، بقرينة إتيان الفعل بصيغة المضارع في ﴿وَلَا يَزَالُ﴾ و﴿تَأْتِيَهُمُ﴾، وهذه الصيغة تفيد الدلالة على التجدد والاستمرار، فهاتان القرينتان تدلان على استمرار ذلك في المستقبل[2]، والمرية هي الشك، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ إما عائد على القرآن، وإما على محمد صلى الله عليه وسلم، وإما على ما ألقى الشيطان[3]، وإما على الدين وهو الصراط المستقيم[4]، وتنكير ﴿مِرْيَةٍ﴾ دلالة على شدة ذلك الشك، وتمكنه من نفوسهم، وتوغله فيها، والساعة إما أن تكون يوم القيامة، وإما أن تكون الساعة التي كتب الله موتهم فيها، وفي كلا المعنيين تهديد ووعيد.

---

(١) سورة الحج (٥٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠٨/١٧).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٣٠/٤).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٨٧/١٢).

"وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وضع موضع المضمر، أي: لا يزالون في مرية، وهم الشاكون الذين في قولهم مرض، بدليل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المنافقون والشاكون"[١].

والمراد بالعقيم من لا ولد له، وأصل العقم العقم في الولادة، يقال: هذه امرأة عقيم، وهذا رجل عقيم: إذا كان لا يولِد[٢]، قال ابن فارس (٣٩٥هـ): "(عَقِمَ): العين والقاف والميم أصل واحد، يدل على غموض وضيق وشدة، ومن الباب عقمت الرحم عقماً، وذلك هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد"[٣]،

وتنكير ﴿يَوْمٍ﴾ للدلالة على التهويل والتعظيم، لما يكون في ذلك اليوم من عذاب فريد، فهو يوم لا مثيل له، ولا يمكن أن يدركوا شدته عليهم، كما أن تنكير ﴿عَقِيمٍ﴾ دال على شدة ذلك العذاب، وعدم تمكنهم من إدراك ما يحدث فيه.

واختلف المفسرون في تفسير اليوم العقيم على قولين، الأول: يوم القيامة، وسبب تسميته أنه لا ليلة له، أو أنه لا يأتي المشركين بخير، والثاني: يوم بدر، وسبب تسميته بالعقيم إما أنه لم يكن فيه للكفار بركة، أو لأنهم لم يمهلوا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء، وإما لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه[٤]، والراجح أن المقصود به يوم بدر، فقد أخرجه عبدالرزاق بسنده الصحيح عن قتادة، وذكره أبي بن

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي (٥١٤/١٠).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤٣٤/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٧٥/٤).

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٣٧/٤)، ينظر: زاد المسير، الجوزي (٢٤٦/٣-٢٤٧).

كعب[١]، فيكون في ﴿عَقِيمٍ﴾ استعارة مكنية، فالمستعار له اليوم، والمستعار منه المرأة، بجامع فقدان النتيجة، فالمرأة إذا فقدت الولد وصفت بالعقم، وكذلك اليوم إذا فقد فيه المحاربون يوصف بالعقم كأنه أمهم.[٢]

وقد وقع الإبهام في قوله: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾، ونقل السيوطي عن ابن أبي كعب، وسعيد ابن جبير، وعكرمة: أنه يوم بدر، وعن الحسن، ومجاهد، والضحاك، أنه يوم القيامة[٣].

وسواء كان المقصود به يوم القيامة، أو يوم بدر، فقد أفاد التهديد الشديد، والوعيد الأكيد لهؤلاء المشركين، ومن يعمل عملهم، بأن هذا اليوم ينتظرهم، فهو يوم لا مثيل له في الشدة والعذاب، وهو يوم يأتي بغتة من دون إنذار.

---

(١) ينظر: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) د. حكمت بشير ياسين (٤٢٢/٣).

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي (٥١٤/١٠).

(٣) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٧٤).

المبحث الرابع: مبهمات أفادت الامتنان.

١ - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

وردت هذه الآية في سياق دحض أباطيل وأكاذيب أهل الكتاب، مثل زعم النصارى أن الله هو المسيح بن مريم –تعالى الله عما يقولون –، ومثل زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وهذه الآية خطاب لليهود والنصارى، مضمونه أنه قد جاءكم رسولنا محمد يبين لكم الحق، وذلك بعد مدة من الزمن لم يرسل تعالى فيها رسلاً، وذلك في الفترة بين إرسال محمد صلى الله عليه وسلم وإرسال عيسى عليه السلام، لئلا تعتذروا وتقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم من الله رسول يبشركم وينذركم، والله على كل شيء قدير.

وبدئت الآية بأسلوب إنشائي في ﴿يَٰٓأَهۡلَ﴾، فهي جملة إنشائية طلبية، بصيغة النداء، لإشعار المخاطبين أنهم أهل رسالة، وعندهم كتب منزلة، وللتنبيه على ما سيأتي من كلام.

وأضافهم إلى الكتاب لتذكيرهم بما أنزله عليهم، بمعنى: أنتم أهل الكتاب، فلم لا تعملون بكتابكم؟[2] وقد جاءت الجملة في قوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مؤكدة

---

(١) سورة المائدة (١٩).

(٢) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي (١/٤٢٥).

بالحرف (قد) الذي يفيد التحقيق والتأكيد، فأكدت الآية إنكار أهل الكتاب، ومعاندتهم لرسالة الرسول، مع أنه مذكور في كتبهم، وأضاف الرسول إلى الضمير (نا) للتعظيم والتشريف، وذكر المسند إليه وهو ﴿رَسُولُنَا﴾ للتقرير والإيضاح.

وفي قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ إما أن يكون المبين مقدراً: وهو الدين والشرائع، وحُذِف للعلم بأن الرسول أرسل لبيان الشرائع، أو تقديره: ما كنتم تخفون، وحذفه لتقدم ذكره، أو لا يكون المبين مقدراً، ويكون المعنى: يبين لكم البيان، وحذف المفعول أكمل؛ لأن على هذا التقدير يصير أعم فائدة[1]، ولعله عبر بصيغة المضارع في ﴿يُبَيِّنُ﴾ الدال على التجدد والاستمرار، للإشارة إلى أن دين الله وبيانه لا ينقطع أصلاً، فكلما درست سنة، هيأ الله عالماً يرد الناس إليها، فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبي مجدد إلا عند الفتنة التي لا يطيقها العلماء، وهي فتنة الدجال، ويأجوج ومأجوج.[2]

وفي حرف الجر (على) في قوله: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ مجاز مرسل، فقد خرج من أصله اللغوي، إلى المعنى المجازي وهو (بعد)، لأن المستعلي يستقر بعد استقرار ما يستعلي فوقه، فشبه استقراره بعده باستعلائه عليه، فاستعير له الحرف الدال على الاستعلاء[3]، ومعنى ﴿فَتْرَةٍ﴾ أي: بعد انقطاع من الرسل والوحي، وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: قد جاءكم رسولنا على فترة من الرسل يبين لكم، وإنما

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٦١٩/١)، ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٣٣٠/١١).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٧٠/٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥٨/٦).

سمي فترة ؛ لأن الدين يفتر ويندرس عند انقطاع الرسل، وهذا ما حصل بين عيسى ومحمد عليهما السلام[١]، والتنوين في ﴿فَتْرَةٍ﴾ أفاد التفخيم، الذي يليق بمقام الامتنان عليهم، ببعث الرسول إليهم عند حاجتهم إليه، وذلك بعد مرور زمان طويل بعد انقطاع الوحي[٢]، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ صفة ﴿فَتْرَةٍ﴾، و﴿مِّنَ﴾ ابتدائية، أي فترة كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم[٣]، وجاء قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ تعليلاً لبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم[٤]، وزيادة ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ للمبالغة في نفي المجيء، وتنكير و﴿بَشِيرٍ﴾ و﴿نَذِيرٍ﴾ للتقليل، والفاء في ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ تفصح عن محذوف ما بعدها، وتقرر به معنى التعليل، والتقدير: لا تعتذروا فقد جاءكم، وتسمى الفاء الفصيحة، وتنوين ﴿بَشِيرٌ﴾ ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للتفخيم، أي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير أي بشير ونذير أي نذير.[٥]

وقد وقع الإبهام في قوله: ﴿فَتْرَةٍ﴾، فما مدة هذه الفترة؟ جاء بيان هذه الفترة في نقولات كثيرة عن الصحابة والتابعين، فذكر ابن جماعة أن مدة الفترة بين عيسى والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام ستمئة سنة، وقيل: خمسمئة وستون.[٦]

---

(١) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي (١/٤٢٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٣/٢٢).

(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٣/٢٧٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦/١٥٩).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٣/٢٢).

(٦) ينظر: غرر التبيان، ابن جماعة (٢٤٤).

أما السيوطي فقد نقل عن قتادة أنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمئة وسبعون سنة، وفي رواية أخرى: ستمئة سنة، ونقل عن معمر عن أصحابه أنها كانت خمسمئة وأربعون سنة، ونقل عن الضحاك أنها كانت أربعمئة وبضع وثلاثون سنة.[1]

وقد أفاد الإبهام الامتنان على أهل الكتاب بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم، فبعد انحراف الناس عن شرائع الله، وانقطاع الرسل مدة من الزمن، كانت الحاجة ماسة لمن يجدد للناس دينهم، ويرجعهم لربهم، ويقطع طريق الأعذار عن المعتذرين بعدم إرسال الرسل.

٢- **قال تعالى:** ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[2].

هذه الآية جاءت في معرض ذكر ما أنعم الله به على موسى منذ ولادته، ومنها حين قذفته أمه في اليم وهو رضيع، فالتقطه آل فرعون، فبعثت أخته تتقصى أمره، عندها رددناه إلى أمه، ومن النعم: قتله لنفس بالخطأ، فنجاه الله من الغم، فخرج إلى مدين خائفاً، فلبث فيهم سنين عديدة، ثم رجع في الموعد الذي قدره الله له.

جاء عامل (إذ) في ﴿إِذْ تَمْشِيٓ﴾ فعلاً مضمراً، تقديره: ومننا إذ[1]، وذكر المشي وحده، ولم يذكر أي تفاصيل أخرى، مثل دخولها على آل فرعون، وكلامها معهم،

---

(١) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٣٨).

(٢) سورة طه (٤٠).

ودلالتهم على مرضعة ترضعه، فالسياق فيه حذف، لأن العرب تجتزئ بحذف كثير من الكلام بقليله، خاصة إذا كان المعنى معروفاً[٢]، وعبر بصيغة المضارع في ﴿تَمۡشِيٓ﴾ و ﴿فَتَقُولُ﴾ لحكاية الحال الماضية[٣]، والاستفهام في قوله: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ للعرض، وتقديم ﴿تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ على ﴿وَلَا تَحۡزَنَ﴾ مع أنها أخص، ومع أن ذكر قرة العين يغني عن ذكر انتفاء الحزن، لمراعاة مناسبة تعقيب قوله: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾، وقدم قتل النفس على الإنجاء من الغم؛ لتعظيم المنة، حيث افتتحت القصة بذكر جناية عظيمة وهي قتل النفس، فيكون لقوله: ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ﴾ موقع عظيم من المنة، إذ أنجاه من عقوبة لا ينجو منها مثله، وجاءت لفظة ﴿فُتُونٗا﴾ منكرة للتعظيم، أي فتوناً قوياً عظيماً، والتنوين فيها يفيد التقليل، وذكر الفتون بين تعداد المنن إدماج؛ للإعلام بأن الله لم يهمل دم القبطي الذي قتله موسى، لأنه نفس معصومة الدم[٤]، "وفي الكلام حذف، والتقدير: وفتناك فتوناً فخرجت خائفاً إلى أهل مدين فلبثت سنين"[٥]، و(ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ﴾أفادت التراخي، إيذاناً بأن مجيء موسى كان بعد مشقة وصعوبة، والنداء في ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ للتشريف، وللتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة

=

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/٤٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٢/١٧٩).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٦/١٦).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/٢١٩-٢٢١).

(٥) البحر المحيط، أبو حيان (٧/٣٣٣).

الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولاً[١]، وحرف الجر (على) في قوله: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ "للاستعلاء المجازي، بمعنى التمكن، فجعل مجيئه في الوقت الصالح للخير بمنزلة المستعلي على ذلك الوقت، المتمكن منه"[٢].

وهذا الشاهد ذكره السيوطي ولم يتطرق له غيره، والإبهام جاء في المدة التي لبثها موسى عليه السلام في أرض مدين، وقد جاء بيان هذا الوقت المقدر في آية أخرى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ﴾[٣]، وورد منقولاً عن عدد من الصحابة والتابعين، فنقل السيوطي عن قتادة أنها كانت عشر سنين[٤]، ونقل الرازي أنها إما عشر سنين أو ثمان، ونقل عن وهب أن موسى مكث عند شعيب عليه السلام ثمان وعشرين سنة، ثم رجح دلالة الآية على أن موسى عليه السلام لبث في أرض مدين عشر سنين، وليس في الآية ما ينفي الزيادة على العشر[٥]، والسر البلاغي في الإبهام هو الامتنان على موسى، وتذكيره بنعم الله عليه منذ ولادته وحتى تبليغه بالرسالة، فهو محاط برعاية الله، ومحفوظ بحفظه.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٦/٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢٢/١٦).

(٣) سورة القصص (٢٧).

(٤) ينظر: مفحمات الأقران، السيوطي (٧٢).

(٥) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٥٠/٢٢).

الخاتمة

حاول هذا البحث أن يسلط الضوء على موضوع المبهمات الزمانية عند السيوطي، ويدرسها دراسة بلاغية، ويبين أسباب إبهامها، ويكشف عن سرها البلاغي، جامعاً بين الدراسة النظرية والدراسة التطبيقية.

وقد خرج هذا البحث بنتائج عديدة، من أبرزها:

- يعد الإمام السيوطي من أهم العلماء الذين تحدثوا عن المبهمات القرآنية، وذلك في كتبه: الإتقان في علوم القرآن، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن.

- فاق كتاب السيوطي (مفحمات الأقران) الكتب الأخرى التي تحدثت عن المبهمات القرآنية عموماً، والزمانية خصوصاً.

-بعض شواهد المبهمات الزمانية انفرد بها السيوطي عن غيره، ولم يذكرها أحد ممن سبقه في التأليف عن المبهمات.

- من أهم الأسرار البلاغية للمبهمات الزمانية: البيان، والتأكيد، والتقرير والتوضيح، والتعظيم، والترهيب والتهويل، والتهديد والوعيد، والامتنان، والتقليل.

ومن أهم التوصيات:

- دراسة كتب المبهمات القرآنية دراسة عميقة، فهي مليئة بالشواهد المتنوعة، وبحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، خاصة فيما يتعلق بالبلاغة والبيان.

- دراسة كافة أنواع المبهمات القرآنية في كتب السيوطي، دراسة بلاغية تحليلية، تكشف عن إعجاز هذه الشواهد، وتبين أسرارها.

- دراسة مؤلفات السيوطي، فله جهود واضحة وجلية في شتى العلوم، وله إسهامات عظيمة في البحث البلاغي، والدرس البياني، ولعل الله ييسر من يكشف عنها، ويبحث فيها.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والإعانة، والرشد والسداد،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ثبت المصادر والمراجع

[١] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط) ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ط) (د.ت)، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: عبدالله بن عمر، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١/١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

[٤] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١/ ١٤٢٤ه، دار الكتب العليمة: بيروت.

[٥] بحر العلوم، السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبدالموجود - د. زكريا النوتي، ط١/ ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.

[٦] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان: محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط) ١٤٢٠هـ، دار الفكر: بيروت.

[٧] البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني: محمود بن حمزة ابن نصر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (د.ط) (د.ت) دار الفضيلة (د.م).

[٨] البرهان في علوم القرآن، الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي: القاهرة.

[٩] التبيان في البيان، الطيبي: الحسين بن عبدالله بن محمد، تحقيق: عبدالستار حسين زموط، رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر، سنة ١٣٩٧هـ.

[١٠] التحرير والتنوير، ابن عاشور: محمد الطاهر (د.ط) ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر: تونس.

[١١] التعريف والإعلام فيما أبهم من السماء والأعلام في القرآن، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، تحقيق: عبدأ مهنا، ط١/ ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.

[١٢] تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، أبو عبدالله محمد بن محمد، تحقيق: د. حسن المناعي، ط١/ ١٩٨٦م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية: تونس.

[١٣] التفسير الصحيح "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور" د.حكمت بشير ياسين، ط١/ ١٤٢٠هـ، دار المآثر: المدينة.

[١٤] تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣/ ١٤١٩هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز: السعودية.

[١٥] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢/ ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض.

[١٦] التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، ط٣/ ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث: بيروت.

[١٧] تفسير المنار، الحسيني: محمد رشيد رضا، (د.ط)١٩٩٠م، الهيئة المصرية للكتاب: مصر.١٨ - تفسير مبهمات القرآن، البلنسي: محمد بن علي، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، ط١/ ١٤١١هـ، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

[١٨] التكميل والإتمام، ابن عسكر: محمد بن علي بن خضر الغساني، تحقيق: حسن مروة، ط١/١٤١٨هـ ، دار الفكر: دمشق/ بيروت.

[١٩] تهذيب اللغة، الأزهري: محمد بن أحمد ، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١/ ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

[٢٠] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١/ ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

[٢١] الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، البخاري: محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١/١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة: بيروت.

[٢٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، ط٢/ ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية: القاهرة.

[٢٣] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (د.ط) دار القلم: دمشق.

[٢٤] درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي: محمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: د/ محمد مصطفى آيدين، ط١/١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية: مكة المكرمة.

[٢٥] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١/ ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية: بيروت.

[٢٦] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١/ ١٤٢٢ه، دار الكتاب العربي: بيروت.

[٢٧] الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤/١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين: بيروت.

[٢٨] صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت.

[٢٩] غرر التبيان في من لم يسم في القرآن، ابن جماعة: بدر الدين محمد بن إبراهيم، تحقيق: د.عبدالجواد خلف، ط١/ ١٤١٠هـ، دار قتيبة: دمشق.

[٣٠] فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: محمد صديق خان بن حسن بن علي، راجعه: عبدالله الأنصاري، (د.ط) ١٤١٢هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: صيدا/بيروت.

[٣١] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي: الحسين بن عبد الله، تحقيق: إياد محمد الغوج - د.جميل بني عطا، ط١/ ١٤٣٤هـ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم: دبي.

[٣٢] القاموس المحيط، الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨/ ١٤٢٦هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان.

[٣٣] قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق: د. أحمد بن محمد الحمادي، ط١/١٤١٤هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر.

[٣٤] الكشاف، الزمخشري: محمود بن عمرو، ط٣/١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي: بيروت.

[٣٥] كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة: محمد بن إبراهيم بن سعد الله، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، ط١/١٤١٠هـ، دار الوفاء: المنصورة.

[٣٦] لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم، ط ٣/ ١٤١٤هـ ، دار صادر: بيروت.

[٣٧] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١/ ١٤٢٢ه، دار الكتب العلمية: بيروت.

[٣٨] المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، الصامل: محمد بن علي، ط١/ ١٤١٨هـ، دار اشبيليا: الرياض.

[٣٩] معاني القرآن، الأخفش، تحقيق: هدى قراعة، ط١/ ١٤١١هـ، مكتبة الخانجي: القاهرة.

[٤٠] معاني القرآن، الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١(د.ت)، دار المصرية للتأليف والترجمة: مصر.

[٤١] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١/ ١٤٠٨هـ، عالم الكتب: بيروت.

[٤٢] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، ط١/١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.

[٤٣] معجم مقاييس اللغة، الرازي: أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط) ١٣٩٩هـ، دار الفكر: دمشق/ بيروت.

[٤٤] مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط١/١٤٠٣هـ، مؤسسة علوم

القرآن: دمشق/ بيروت.

[٤٥] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١/ ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية: دمشق/ بيروت.

[٤٦] ملاك التأويل، الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح، ط١/١٤٠٣هـ، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

[٤٧] من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم) الخضري: محمد الأمين، ط١/١٤١٤هـ، مكتبة وهبة: القاهرة.

[٤٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: إبراهيم بن عمر، (د.ط) (د.ت) دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

[٤٩] النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط) (د.ت) دار الكتب العلمية: بيروت.

-Temporal Ambiguities in the Holy Qur'an by Al-Suyuti,

A Rhetorical study

(From the beginning of *Surat Al-Fatihah* to the end of *Surah Al-Hajj*)

Abstract: The science of ambiguities is one of the sciences that scholars toke care of in the past, and they wrote special works in it, and included the Qura'nic verses which involve a type of ambiguity, and among these scholars is Imam al-Suyuti.

Al-Suyuti talked about the science of ambiguities in his books: Perfection in the Sciences of the Qur'an, the Struggle of the Peers in the Inimitability of the Qur'an, and The Convictions of the Peers in the Ambiguities of the Qur'an, and the book of (The Convictions of the Peers) outdid all the other books which talked about the Qura'nic ambiguities.

Al-Suyuti's book The Convictions of the Peers was the only book which mentioned some evidences of the ambiguities which noon else, who previously wrote about the science of ambiguities, touched upon them.

But these Qura'nic evidences in the science of ambiguities need to be studied and clarified, especially with regard to rhetoric and eloquence, and from this standpoint the idea of this research came.

This research tries to shed light on a type of Qura'nic ambiguities for Al-Suyuti, namely: the temporal ambiguities. So he mentions their evidences, studies them rhetorically, and explains the reasons for the ambiguity in them, and reveals the rhetorical secret in them.

The research also aims to examine if those temporal ambiguities of al-Suyuti's are pure notions or from his own narrations. The study also seeks to investigate if he used the analytical method in study and analysis.

Perhaps the most important rhetorical secrets of the temporal ambiguities in which the research came out with are: declaration and affirmation, confirmation and clarification, magnification, glorification, threat and intimidation.

Keywords: Qur'an - inimitability – rhetoric - ambiguity- Al-Suyuti